زنجيرەی: تاوەكو بە هەڵە لە سوننەت حالی نەبين

ئەلقەی دووەم:

نصيحة الامام البخاري

لطلاب العلم والعلماء

ملا عمر السويري

اربيل - كوردستان الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م- ٢٧١٣ك

من منشورات

اتحاد علماء الدين الاسلامي في كوردستان

تسلسل (٢٨)

WWW.ZANAYAN.ORG

* الكتاب: نصيحة الامام البخاري

لطلاب العلم والعلماء

* المؤلف: ملا عمر السويري

* الغلاف والتصميم: مكتب كومبيتر دەريا

* العدد: (١٠٠٠) نسخة

* الطبعة: الأولى ٢٠١٣م – ١٤٣٤ هـ

* المطبعة: رۆژهەلات- اربيل

الحمدلله الذي اوجب على المسلمين اتباع العلماء آمراً بقوله (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون)، ثم وصف العلماء محذراً من التلبس بالجهلاء بقوله: (والراسخون فى العلم)، وبقوله (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) والصلاة والسلام على إمام العلماء ومرشد الأولياء سيدنا محمد القائل (....وماجهلتم فه فاسئلوا عالمه)[1]، ورضوان الله على الصحابة الربانين وتابعيهم المخلصين الصادقين وابتاعهم العارفين المتقين.

وبعد: أيُّها القراء الكرام: إنَّ خيرَ ما يتهادى به المسلمون فيما بينهم النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وهديتى اليكم هذه النصيحة التى بين أيديكم، وهي ليست من عند نفسي المحتاجة اليها أكثر من غيرها، وإنَّما هي من عند مَنْ هو أهل لها، فهي للعالم العامل الناصح الذي استسنصحه الأئمة المستنبطون، واسترشده الربانيون المربون، ولم ينكر فضله الأولون والأخرون.

ألا وهو فخر الأمة، وإمام الأئمة، وأمير المؤمنين في ولاية السنة، الإمام البخاري(رضي الله عنه)، ورحمنا ببركة علمه وخالص علمه.

إنَّ المقصد الأهم في هذه الرسالة مع ما فيها من مقتطفات من رياض البخاري هو نصيحة واحدة له، نصيحة واحدة ولكن وحيدة بين النصائح،

---

١ – رواه الإمام أحمد .

واحدة في التعداد ولكن كافية في المراد، فكل كلمة منها تنطوى على حكمة وعلم، وكل عبارة منها تحتوى على معرفة وفهم، لذا فهي ضالة كل علم ومتعلم، ودالة كل عاقل ومتفهم، ولم لا وهي نور من شمس بخارا، فهي كالعسل شفاء لعقول الحيارى، لاسيَما لصنف من شبابنا المغرر بهم، الذين أوشكوا أن لا يميزوا بين العلم والجهل، بل بين العالم والجاهل، فهم أحرى أن لايميزوا بين السنن والمبتدعات، وبين الحقائق والضلالات، حتى آل الأمر الى أن كثيراً ممن يخطبون ويعظون، ويقضون ويفتون، وهم لايعلمون بعد ماهية علم الفقه، وما هي مآخذه وأصوله وأدلته، ومن هو الفقيه وما درجته من العلم.

والأدهى من ذالك وأمر انك لو سردت كل مافي مصادر الفقه من العلم لصنف من قرآء الزمان، لم يصغوا اليك وطالبوا أئمة الفقه بأدلة السنة والقرآن، وليتهم وقفوا عند هذا الحد فحسب، وكفى الله المؤمنين القتال، بل يرون أنَّ من الدعوة والجهاد الخروج على أئمة الإجتهاد، ويفضلون عليهم بعض كتاب الحديث اللامذهبين، واهمين أنهم من علماء الدين، فأعرضو عمن أمر الله بإتباعهم وأتبعو ما تمليه عليهم أحلامهم، فحرموا بذالك أنفسهم من خزائن ورثة المرسلين، وقنعوا بأدنى الدون من العلم والدين، وليس الذنب في هذا ذنبهم، فلا لوم على غير الراشدين، ولاجرح على غير المتعلمين، بل الذنب كل الذنب على المُعَيَّين المتعالمين، المنفقين فى سبيل فرقة المسلمين، أولئك هم وعاظ السلاطين المتطفلين على موائد الملوك والامراء المترفين، الذين ينكرون جهلاً أو تجاهلاً اختلاف التنوع فى الفروع من الأئمة المستنطبين، ولا يبالون بما ابتدعوه من الخلافات في

أصول الدين. الذين ينهون عن إتباع الأئمة المتجهدين، ويأمرون كل فرد من قرآء الزمان أنْ يصبحوا مجتهدين، الذين نبذوا المذاهب الأربعة وراء ظهورهم، وأحدثوا مآت المذاهب جراء غرورهم، والله يعلم أنَّ إثم فرقة المسلمين في نحورهم، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شرورهم.

ولكننا بعون الله نتفائل بالخير والهداية من شبابنا المؤمنين لا سيما في شباب كوردستان المؤمنة أنْ يريهم الله الحق ويرزقهم إتباعه، ويريهم الباطل باطلاً ويرزقهم إجتنابه، فإنَّ الباطل زبدٌ يذهب سريعاً، وان الحق ذهبٌ يبقى منيعاً.

وقبل عرض نص نصيحة الإمام البخاري ينبغي التمهيد لها بمقتطفات من جنة سيرته العطرة، لنتنزّه، والقراء الكرام بعلم باسق بين الأعلام، ونتشرف بخدمة أمير المؤمنين، ونتكرم بعالم من الربانيين، وذالك ليعلم من لم يعلم من هو المحدث والعالم الحق، وبعد التحقيق من هو بالإتباع حقيق، إنَّ البخاري لم يكن واحداً من كبار علماء الإسلام فحسب، ولا إماماً في الحديث كسائر الأئمة، بل كان بحق أية من أيات الله ومعجزة من مؤيدات رسول الله(ﷺ)، كان آية في الذكاء والعلم بأنه من مصاديق قول الخالق سبحانه: (والراسخون في العلم)، وكان معجزة لأنَّه لم يولد في غير سلف هذه الأمة مثله قط، وكان معجزة لأنَّ فطنته وعبقريته بهرت حتى عقول غير المسلمين من المستشرقين والمفكرين الغربيين، فدانوا له رقابهم معترفين مذللين، وكان معجزة أيضاً لأنه كان في علو العقل وقوة الذاكرة بمكان، لا يَرْقَى إلى شموخه حتى نظرة أهل هذا الزمان، ومن حق أبناء الحاسوب والمسجّلات ان لا يتصوروا انساناً مثل البخارى ولا يروه من المعقولات.

وقبل شروع القراء الأعزاء بتصحف هذه العجالة أُطَمْأنهم كما هو من حقهم على صحة كل محتواها، وأقول: إن أخبار البخاري شأنها شأن أخبار أكبار البشرية قد تواردت متواترة مستيفضة كفيضان بحر ما ئج، وكاستفاضة شعب هائج، فكيف تخفى شاردة وواردة حول مَنْ لازالت أعين العلماء ساهرة عليه، وآذان أمَّة باتت صاغية إليه، ولئلا نُصيّر المقدمة نتيجة، والنتيجة تحصيل حاصل، فالحظ الآن بنفسك أيها المستغرب من الآيات، ورَ بعينك أيها المستنكر للمعجزات، وقِ نفسك من المعائدات والمكابرات، وعِ بعقللك ما تأتيك من الأيات.

(يا ابن الكرام ألاتدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا)

الملا عمر الملا محمدأمين السويري

١ رمضان ١٤٣٤ هـ

١٠ تموز ٢٠١٣ م

مولد الامام البخاري ونسبه

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة في الثالثة عشر من شوال، سنة مأة وأربعة وتسعين من الهجرة الشريفة بمدينة بخارا، وهو فارسي النسب[١].

وكان والده إسماعيل بن إبراهيم تقياً عالماً محدّثاً، واشتهر بين الناس بذلك، رحل كثيراً إلى العلماء وأهل الحديث، روى الحديث سماعاً عن الإمام مالك بن أنس، وحمّاد بن زيد، و صحب عبدالله ابن المبارك.

وكانت والدته إمرأة تقية صالحة حتّى عدّها المؤرخون من ذوي الكرامات.

روى غنجار في كتاب (تأريخ البخاري)، واللاّلكائي في كتاب (شرح عقيدة أهل السنة)، و الإمام السبكي في كتاب (طبقات الشافعية): إن البخاري ذهبت عيناه في صغره، فدعت أمّه الله تعالى كثيراً، حتى رأت إبراهيم (عليه السلام) في المنام فقال لها: قد ردّالله تعالى على ابنكِ بصره بكثرة دعائكِ، فأصبحت وقد ردّ الله عليه بصره[٢].

طلبه للحديث و ذكاؤه المدهش منذ صغره

قال ورّاق[٣] البخاري (محمد بن حاتم): قلت لمحمد بن إسماعيل البخاري كيف كان بدْأُ أمرك؟ قال: {أُلْهِمت الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي[٤] وغيره، فقال يوماً فيما يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له أن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له إرجع

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣١/١).

٢- التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٥٧/١).

٣- الورّاق: صانع الورق، والكاتب.

٤- الداخلي: من كبار المحدثين.

إلى الأصل[1] أن كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم خرج، فقال لي كيف ياغلام؟ قلت هو الزبير بن عَدىّ عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأصلح كتابه، وقال صدقت.

فقال بعض أصحاب البخاري له: ابن كم كنت؟ قال إبن أحدى عشرة سنة. فلما طعنْتُ في ست عشرة سنة حفظت كتب إبن المبارك، ووكيع.

ولما طعنْتُ في ثماني عشرة سنة صَنَّفْتُ كتاب (قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم)، وصنّفْتَ كتاب (التأريخ الكبير إذ ذاك[2] عند قبر النبي(ﷺ) في الليالي المقمّرة[3]، وقلَّ اسمٌ في التأريخ إلّاوله قصة عندي، إلا أني كرهت تطويل الكتاب}.

قال الامام شهاب الدين أحمد القسطلاني: وكان طلاب الحديث ورجاله يكتبون أحاديث البخاري و أسانيده وهو أبن ثماني عشرة سنة[4].

وقال الامام القسطلاني: روينا عن أبي بكر الكوذاني أن محمد بن اسماعيل البخاري كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً[5]، وأنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة.

وقال حاشد بن إسماعيل وصديق له وهما زميلا البخاري في طلب العلم: كان البخاري يأتي معنا إلى الدرس وهو غلام فلا يكتب شيئاً مما يسمعه، حتى أتَى على ذلك أيام، فكنا نقول له[6]، فقال إنكما أكثرتما علىّ[7]' فاعرضا علىّ ماكتبتما، فأخرجنا إليه ما كان

١- الاصل: المصدر.

٢- أي في سنّ الثامن عشر.

٣- أي تحت ضوء القمر لعدم وجود مصباح لديه.

٤- إرشاد السارى (٣٢/١) , و المنتظم لإبن الجوزي (١١٥/١٢)

٥- أي حفظاً جيداً بلا خطأ.

٦- نقول له لم لاتكتب مثلنا.

٧- تسألانني كثيراً لم لا أكتب.

عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلبه، حتى جعلنا نحكّم كتبنا من حفظه[1]، ثم قال: أترون أني أختلف هدراً[2]، وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لايتقدّمه أحد.

وقال زميلاه أيضاً: كان أهل المعرفة يغدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب، حتى يغلبوه[3] على نفسه، ويُجلسوه في بعض الطرق، فيجتمع عليه الوف أكثرهم ممن يكتب عنه وهو شاب[4].

وقال سليمان بن مجاهد: سمعت ان صبياً يحفظ سبعين ألف حديث، فخرجت في طلبه ولقيته فسألته انت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال نعم وأكثر، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين ألاّ من عرفت مولد أكثرهم، ووفاتهم، ومساكنهم، ولست أروى حديثاً من حديث الصحابة والتابعين إلاَّ ولى في ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله(ﷺ)[5].

أقول: تأمّل في هذا الذكاء المدهش، حيث فطن وهو في سنّ الصبا إلى أشدّ مسائل علوم الحديث معضلة كما سبق، وهو التمييز بين روايين مشتركين في الاسم، وذلك بحفظه لأنساب وكُنَى والقاب آلاف الرواة والاسانيد في هذا السنّ المبكر، وكيف انه بيّن إلتباس واحد من كبار المحدّثين بين أبي الزبير والزبير بن عَدِيّ، ومعلوم ان التمييز بين الرواة المشتركين في الاسماء و العناوين بالاحاطة بأنسابهم والقابهم وكناهم وتواريخهم من ادق مسائل علوم الحديث واصعبها.

١- نصحح كتبناً بمحفوظاته.

٢- أذهب إلى المكتب عبثا.

٣- يجبرونه على الجلوس للتحديث.

٤- إرشاد السارى (٣٣/١).

٥- إرشاد السارى (٣٤/١).

كذا تأمّل في فرط ذكاء شاب في السادسة عشر من عمره وقد حفظ كل مؤلفات إمامي الحديث عبدالله بن المبارك، ووكيع، وكيف أنه في سن الثامن عشر صنف كتباً علمية قيّمة مثل (قضايا الصحابة) و(التأريخ الكبير) وهما مصدران علميان غنيان لكل من جاء بعده من العلماء خلال أكثر من أثنى عشر قرناً.

ومما يجلب النظر والانتباه هنا قول البخاري: صنفت كتاب قضايا الصحابة والتأريخ الكبير عند قبر النبي(ﷺ)، وهذا دليل وتصريح منه على أن إمام أئمة الحديث كان يتبّرك بمرقد رسول الله(ﷺ) لنجاح تصانيفه، وكان هذا سرّ البركة العجيبة في جميع مصنفاته، وخاصة في جامعه الصحيح الذي بيّضه وهذّبه بين القبر والمنبر كما سيجيء في قول الإمام إبن حجر و غيره.

ثم تأمّل في هذه الذاكرة القوية الخارقة لإنسان يحفظ كتاباً كاملاً بنظرة واحدة في صفحاته، ويحفظ الآلاف المؤلفة من الاحاديث بأسانيدها المتشعبة الشاردة وهو بعد في سنّ الصبا المبكر، لاجرم أن ظهور مثل البخاري لايمكن إلا ضمن معجزات خاتم الرسل(ﷺ)، وأن البخاري كما وصفه علماء زمانه:

(كان آية من آيات الله يَمشي على الأرض)

قيمة صحيح البخاري و كل مصنفاته

قال الامام البخاري(رضي الله عنه): {خرّجته –الجامع الصحيح– من نحو ستمأة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى. وقال ما أدخلت فيه الا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثرُ حتى لايطول. وقال ورّاقه قال البخاري: صنفت جميع كتبي ثلاث مرات}[1].

١– مقدمة فتح البخاري، و إرشاد الشارى (٣٤/١)

وقال البخاري: {ما أدخلت في الصحيح حديثاً إلا بعد أن أستخرت الله وثبّتُّ صِحّتَه[1]، وما كتبت في كتابي حديثاً إلا أغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين}[2].

هذا ومن الطرائف أن اللامذهبين من أمثال الالباني وإبن بازيرون هذا التقوى اللامثيل وأشباهه مما تعبّد به البخاري والامام مالك كما سترى: من البدع المحرمة، لأنها لا دليل عليها. ولاحول ولا قوة إلا بالله، وستأتي نماذج من كلام اللامذهبين من هذا القبيل والردّ عليه.

ومما يؤكد عِظم قيمة صحيح البخاري و أسانيده، ويزيده صحة على صحة، ويريه للعقول كالجبل الشامخ من وجه وكالبحر الزاخر من وجه آخر، قول الامام القسطلاني: (تنبيه وإرشاد): رويْنا عن الفربري انه قال سمع صحيح البخاري من مؤلفه: تسعون ألف رجل، وآخر من رووا الصحيح عن البخاري وسمعه منه هذا الفربري، وبعد الفربري بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن على بن قرينة البّزْدوِيّ، وكانت وفاته سنة ثلاثمأة وتسعة وعشرين، وهو آخر من حدّث عن البخاري بصحيحه، وهذا جزم به محدّثون مثل أبي نصر و غيره[3].

وأقول يؤخذ مما سبق من أقوال البخاري و أئمة الحديث:

١/ ليس العجب منحصراً فقط في حفظ البخاري لستمأة ألف حديث وأكثر، بل الأعجب مع هذا كما شهد له العلماء كابراً عن كابر، وكما قال نفسه(رضي الله عنه): انه حفظ لكل هذه الاحاديث مواليد و وفيات و أوطان و مدن أكثر رواتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من سلسلات الاسانيد إلى زمنه.

١- إرشاد السارى (٢٠/١).

٢- إرشاد السارى (٢٩/١).

٣- المصدر (٣٩/١), والمنتظم لإبن الجوزي (١١٥/١٢)

ولاشك ان جمع وحفظ كل تلك المعارف المبعثرة في أودية وصحارى ذلك الزمن البطيء في الاتصالات، والفقير إلى لوازم الكتابات، أشدّ صعوبة وأكثر تعقيداً من حفظ متون مآت الآلاف من الأحاديث.

٢/ قول البخاري: خرّجت (الجامع الصحيح) من نحو ستمأة ألف حديث....): إذا عرفت ان مجموع ما فيه من الاحاديث كما قال الامام إبن الصلاح الشهرزوري في مقدمته، والامام النووي في إختصاره لها في تقريبه: (سبعةُ آلاف ومأتان وخمسة وسبعون حديثاً بالمكررة، وبحذف المكررة أربعة آلاف حديث)[١]: عرفت حينئذ قيمة صحيح البخاري، وقوة صحة كل أحاديثه بحيث لايرقَى إلى صحة أىّ منها أدنى شك، ولا تسري إليها أخفى شبهة. وهذا لأن البخاري هذّب ونقّح أربعة آلاف من مجموع ستمأة ألف حديث، فصحيح البخاري عصارة طيبة نقية من ثمار ستمأة ألف شجرة مثمرة، وزبدة خالصة من بحور زاخرة.

وهذا يعني ان أحاديث كل باب من صحيح البخاري قد هذّبت وأستُخلصت من أضعاف ما عليه الآن من الأحاديث بعشرات وأحياناً بمآت المرات، فمثلاً كما حقّق الامام إبن الملقن[٢] أعداد أحاديث كل باب وكل مسئلة في صحيح البخاري، فإنّ فيه حول سترة المصلى ثلاثة وأربعون حديثاً، وحول الإقامة أربعون حديثاً، وإقامة الصفوف ثمانية عشر، والركوع والسجود والتشهد أثنان وخمسون، وصلاة الجمعة خمسة وستون، وصلاة الجماعة والإقامة أثنان وأربعون.... الخ.

أما قبل التهذيب فقد كان عدد أحاديث كل باب من هذه أضعاف ماهو عليه الآن، وهذا عدا عن صيرورة الصحيح سهل المنال وواضح المآل، كما قصد بذلك إمامنا خشية الملال، فإنه يؤكد قوة صحة صحيح البخاري إلى أقصى مدى حدود الصحة، لأن البخاري بتهذيبه

١- تدريب الراوي (ص٥٩).

٢- التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٤/٢).

هذا لم يحذف الاحاديث التي في أسانيدها ضعف فحسب، بل حذف آلاف الأحاديث الصحيحة، ولم يُدْخل في صحيحه إلا الصحاح المتوافر فيها كلّ مقومات الصحة، وشروطها العلمية، وكما قال نفسه(رضي الله عنه): {ما أدخلت فيه الا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر، حتى لايطول}.

فإنه(رضي الله عنه): قد ترك الاهل والاحباب والديار، وقطع ظهور البراري وركب متون البحار، حتى جمع ستمأة ألف من الأحاديث والأثار، بأسانيدها الوعرة المسالك، لتتمخّض عن أربعة آلاف حديث، ويمكث منها ماينفع الناس.

٣/ قول البخاري: (صنفت الجامع الصحيح في ست عشرة سنة) و(صنفت جميع كتبي ثلاث مرات): يؤكدّ شدّة إهتمام هذا النابغة الجِهبذ ذي الذكاء المفرط بمصنفاته، وعجيب تدقيقه فيها لتتخلّص من كل شائبة، وحتى لوكان هذا الاهتمام مِمّنْ هو دون البخاري ذكاءً بعشرات الدرجات لخرج كتابه صحيحاً ناصعاً لاغبار عليه، أمّا وقد كان ذلك من ذي الذكاء الخارق، فليتحدّ المسلمون بصحيح البخاري كل زنديق ومنافق.

٤/ قوله: {ما أدخلت في الصحيح حديثاً إلا بعد أنْ أستخرت الله وثبّتت صحته}، وقوله: {ماكتبت في كتابي حديثاً إلا أغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين}: هذا يثير العَجب العُجاب من تقواه وورعه، وحذره من سريان حرف واحد غريب إلى كلام رسول الله الذي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(٤)﴾

وقوله هذا يعني انه(رضي الله عنه) أغتسل أربعة آلاف مرة، وصلى ثمانية آلاف ركعة فقط لتأليف الجامع الصحيح.

٥/ أما نسبة (الجامع الصحيح إلى الإمام البخاري) وأنه هو الذي سطره بيده المباركة والفّه: فهذا أيضاً لاسبيل إلى التشكيك و الجدال فيه بحال، لأن ذلك قد تعدّى حدود الشهرة، وفاق مراتب التواتر عند كافة علماء الاسلام، وكما روى الامام المحدّث القسطلاني بسنده، وغيره من الائمة عن (الفربري) وغيره عن مآت من التلاميذ الذين تخرّجوا في جامعة البخاري الزاخرة الزاهرة، وأخذوا منه الحديث وعلومه مشافهة وسماعاً:

أنّ العلماء وطلاب الحديث الذين سمعوا كل صحيح البخاري من لسانه بلغوا تسعين ألف رجل، وكل واحد من هذا العدد الهائل كتب صحيح البخاري بيده إما لنفسه، او لمدرسته، أو لبلده، أو لبلد آخر من بلدان المسلمين لنشر أحاديث الرسول إبتغاء لوجه الله تعالى.

ومن شدة إهتمام علماء الاسلام بحفظ أحاديث رسول الله(ﷺ) غضاً طرياً أنهم دوّنوا بدقة حتى عناوين وتواريخ جميع تلامذة البخاري البارزين ورواة صحيحه، لذا قالوا: وآخر من رووا الصحيح عن البخاري وسمعه منه (الفربري) المارّ الذكر، وبعده بتسع سنين (أبو طلحة منصور البزدوي) المتوفىً سنة ثلاثمأة وتسعة وعشرين[1].

فهذه المعارف الدقيقة المدونة المحفوظة تواتراً جيلاً عن جيل من علماء الحديث و رجاله حول أعداد رواة صحيح البخاري وأسماءهم وألقابهم وكناهم ومواليدهم و وفياتهم و مساكنهم، دليل آخر على عجيب إهتمام علماء الاسلام بأحاديث رسول الله(ﷺ)، وحفظها بعقولهم وقلوبهم قبل أن يحفظوها بأقلامهم وأسفارهم، وهذا من مصاديق ما وعد به رب العزّة بحفظ القرآن والحديث معاً في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ لأن القرآن الكريم إذا كان قد بقى سالماً كما نزل خلال تلك الازمنة السحقية، وهكذا سيبقى خالداً بوعد الله العلى القدير في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فإن الحديث كذلك سيبقى ببقاء القرآن بأمر الله السابق، وذلك أمر لازم لتتمّ فائدة ما نزّله الله، وحكمةُ ما شرعه ببيانه لعباده، وتيسير فهمه عليهم.

تنبيه: قال الفقهاء (الاسناد من الدين) أي أن الاهتمام بأحاديث رسول الله(ﷺ) وحفظها سالمة صحيحة سنداً ومتناً من الواجبات الالهية في الاسلام، وذلك لأنه مادامت حكاية أيّ كلام دون اسناد متصل صحيح لايجزم العقل بتصديقه كائناً من كان صاحبه، فإن كلام رسول الله(ﷺ) تشريع تُحلّ به الدماء وتحرّم، وتُصنّف به المؤمنون والكفار،

١- أرشاد السارى (٣٩/١).

وتُستحق به الجنة أو النار، وتُقيّم به أعمال الصلحاء والفجار، فلا بدّ لكل كلمة من كلام رسول الله(ﷺ) مايثبت صدورها منه وصحتها إليه.

لذا قام بواجب الاهتمام بالاسناد وحفظه منذ القرن الأول الآلاف المشهورة من أئمة الحديث، وعلماءه، ورجاله، على أتمّ مايكون الاهتمام والحفظ، والبحار الزاخرة من منابيع الحديث وعلومه الباقية المحفوظة إلى أيامنا هذه لشهود عيان على صحة الاسناد لكل حديث من احاديث خاتم الرسل.

وقال العلماء أيضاً: الاسناد خاص بامة الاسلام[1]، أي أنّ أتباع الاديان الماضية لم يرووا كتبهم المقدسة كالتوراة والانجيل وغيرهما بأسانيد متصلة معلومة، هذا علاوة على أحاديث وسير رسلهم، بَلْهَ آثار أنصارهم وحوارييهم، فإن التوراة لم تدوّن، ولم تُجمع كلماتها المتفرقة المبعثرة إلا بعد وفاة موسى (عليه السلام) بسبعمأة عام في أسر بابل، وذلك حينما كانت اليهود أسرى وأذلاّء تحت سلطان الملك الايراني (بخت نصر)، وتلك حالة ينسى فيها المرأ كلام نفسه علاوة على تذكّره لكلمات ماضية مشتتة عبر القرون، وكذلك الأناجيل لم تجمع ولم تدون إلا بعد مأتين وخمسين عاماً من وفاة عيسى ورفعه(عليه السلام)، أي بعد إنقراض ثلاثة أو أربعة أجيال بين عيسى(عليه السلام) وبين من كتبوا الاناجيل، لذا من الواضح انه لاسند البتة لأىّ من الأناجيل التي تصل أعدادها إلى السبعين حسب اعتراف (مجمع الكنائس البريطانية)، إلاّ أنهم أختاروا من عند أنفسهم أربعة من السبعين كما حَلَى لهم، لذا ولعدم أىّ سند لها إلى عيسى(عليه السلام) سّموْها باسماء كاتبيها: كأنجيل بولص ومرقس ومتى ويوحنا.

لذا من الجدير التنبيُّهُ عليه هنا ان الحديث الضعيف، بل أضعف الأحاديث عندنا نحن المسلمين أقوى سنداً بكثير من سند كل الأناجيل معاً، فإن المحدثين في الاسلام قد ضعّفوا مآت الأحاديث لاسباب صغيرة وعلل دقيقة، فضعّفوا كثيراً من الأحاديث وكتبوا

١- الباعث الحثيث (ص٨٥).

عليها: (حديث ضعيف) لأن سنده منقطع، وذلك بسبب مجهولية راو واحد فقط في سنده، مع ان باقي رواته معروفون موثقون، أو بسبب تدليس راو، وذلك إذا روى شخص حديثاً عن شخص كان في زمنه، وقال عن فلان ولكنّه لم يره ولم يأخذ الحديث عنه مشافهة، فضعّفوا روايته لهذا السبب، وربما كان صادقاً في روايته خاصة إذا لم يثبت عليه مايجرحه غيْر التدليس.

كذا ضعّفوا روايات كثيرة لملاحظة أدنى خلل في ديانة الراوي، اوخدش في مروئتِه... إلى آخر ما عدّه أئمة علوم الحديث من أسباب ضعف السند وقوادح الرواة.

أمّا بصدد رواة الأناجيل، فعلاوة على جهالة أنسابهم وعدم معرفة تواريخهم كما ينبغي: فإن بولص الذي هو أوثق رواة الأناجيل ويسميه النصارى بولص الرسول، فإنه كان جابي الضرائب للرومان الظلمة الوثنين، وأما يوحنّا صاحب أحد الأناجيل الأربعة فمجهول الأصل و الهوية، ومجهول المولد والمنشأ، ولم يدر القسس لحدّ الآن أكان صاحب ذلك الإسم موجوداً أم لا....الخ.

وكما قال الحكماء لاتعرف الاشياء إلا بأضدادها، فإن المسلم لايعرف مدى صحة سنن رسول الله(ﷺ)، ولايعرف قدر أئمة الحديث وسائر أئمة العلوم الاسلامية إلاّ بالاطلاع على علوم الحديث، وكتب الفقه , ثم المقارنة بين كيفية الاسناد في الاسلام وبين كيفيته في اليهودية و النصرانية.

نبذة أخرى في فَرط ذكاءه و سعة حفظه

لماّ زار البخاري (بلَخَ) سأله علماء الحديث أن يُملى عليهم لكلّ من كتب عنه، فأَمْلَى ألف حديث عن ألف شيخ[1].

١- أرشاد السارى (٣٤/١).

وقال سليم بن مجاهد: قال محمد بن إسماعيل البخاري لا أجيئ بحديث عن الصحابة او التابعين الا عرفت مولد أكثرهم و وفاتهم و مساكنهم[١].

وقال البخاري: تذكرت يوماً أصحاب أنس(رضي الله عنه) فحضرني في ساعة ثلاثمئة نفس[٢]، وقال ورّاقه سمعت البخاري يقول: لو قيل لي تَمَنَّ، لما قمت حتى أروى عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة[٣].

وقال وراقهُ أيضاً: عمل البخاري كتاباً في الهِبَة فيه نحو خمسمأة حديث[٤].

وأقول لايكاد يعود خيال القارئ من السباحة في بحار ذكاء البخاري، حتى يُلقى به العجب على امواج عالية متلاطمة أخرى، فإن حافظة ذلك الرجل لم تكن مجرد خزانة جامعة لملايين المعلومات المختلطة، بل كانت مكتبة زاخرة للعلوم المتنوعة المُصَنَّفَة على أبرع و أروع مايمكن التصنيف. فتخيَّلْ قوة ذاكرة تستحضر في وقت قصير ثلاثمأة من الاسماء و العناوين الكاملة فقط لأصحاب وتلامذة أنس بن مالك(رضي الله عنه)، الذين روى عنهم البخاري الأحاديث، وهذا يدل على ان البخاري لم يكن يكتفي بمجرّد حفظ عناوين الرواة فحسب، بل كان مع هذا يصنف كل مجموعة منهم في ذاكرته حسب شيوخهم وبلدانهم و أزمانهم، ولاجرم انه لايمكن لخيال الانسان مهما خال و جال أن يتصور لبشرغير الانبياء عقلا أقوى من عقل البخاري، ولاذكاءً أحدّ من ذكاءه.

وإذا كان من شأن البخاري ضبط وتصنيف كلّ هذه المعارف الدّقيقة الشاردة، فإن تصنيفه لنصوص أحاديث الرسول حسب الاحكام والمقام لايكون أصعب عليه من ذلك، لذا رأى من الميسور له ان يروى حفظاً عشرة آلاف حديث فقط في الصلاة قبل أن يقوم من مقامه، وأن يؤلف كتاباً خاصاً بأحكام الهبة بمحتوى خمسمأة حديث.

١- مقدمة فتح الباري (٦٨١).

٢- مقدمة فتح الباري (٦٨١).

٣- مقدمة فتح الباري (٦٨١).

٤- أرشاد السارى (٣٤/١) و مقدمة فتح الباري (٦٨١).

هذا وتجرّنا حشود عشرة آلاف وخمسمأة حديث فقط حول الصلاة والهِبَةِ إلى رؤية المهاوي السحيقة، والمهالك الخطيرة التي وقع فيها بعض كتاب وقراء الزمان المتوهمين ان لهم حق استخراج الأحكام الالهية والسنن النبوية من نصوص الآيات والاحاديث مباشرة دون الحاجة إلى مصادر أئمة الفقه و الاستنباط، وتكاد تبكي شفقة على تهافت هؤلاء وتخبّطهم خبط عَشواءَ إذا رأيت إجتماع عشرات أضعاف تلك الحشود من الاحاديث الكائنة عند أئمة الحديث الآخرين، فمثلاً إذا كان لدى البخاري عشرة آلاف حديث حول الصلاة، فلا أقل من انْ يكون لدى الائمة الآخرين بمجموعهم ثلاثون ألف حديث آخر حول الصلاة أيضاً.

فما بالك بعدد الأحاديث حول مسائل العقيدة التي هي ادقّ وأعمق من مسائل الصلاة، وبما حول مسائل السنن و البدع التي هي أشدّ تعقيداً و أوسع من باب الصلاة، وهكذا في تلك الغياهب الواسعة الشاسعة يكيل المفلسون المسرفون للمسلمين سموم التكفير والتضليل جزافاً، ولو رجعوا إلى أنفسهم وعرفوها لعرفوا قدر الفقهاء الذين استخلصوا آلاف الاحكام من طوايا مآت الآلاف من الآيات والأحاديث، وبيّنوا للمسلمين بما لامزيد عليه مسائل اعتقاداتهم وكيفيات عباداتهم، هذا وتعرف قدر فقهاء الاسلام، ودقة مَهامِهّم وصعوبتها كلّما عرفت كثرة الأحاديث حول كل عبادة وكل تكليف شرعي، فمثلاً صنف إبن حزم وحده كتاباً في ألف صفحة حول أحاديث الوضوء فقط، ومعلوم أن من بين هذا العدد الهائل من الاحاديث الناسخ والمنسوخ، والمطلق و المقيد، والخاص و العام....الخ. فهل ترى أيها القارئ المنصف استخلاص وضوء شرعي صحيح في آلاف من أحاديث الرسول(ﷺ) دون الرجوع إلى المصادر الفقهية أمراً ميسوراً حتى لأعلم أهل هذا الزمان؟ فرحم الله أمرءً عرف قدره فوقف عنده، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، والعكس صحيح.

ولنعد إلى خدمة البخاري وتكملة النبذة حوله ونقول:

بلغت ثقة العلماء بعلم البخاري وبكل كلمة سطرها مبلغاً لم يرق إليه إلا النوابغ القلائل من البشرية، والأفذاذ الفطاحل من الامة الاسلامية، النوادر من أئمة السلف كأبي حنيفة ومالك والشافعي وإبن حنبل، وأمثالهم المشار إليهم بالبنان(رضي الله عنهم).

وكفى بثقة علماء الاسلام بعالم أنهم استنبطوا أحكاماً شرعية من مجرد تراجم البخاري لأبواب صحيحه، لأنه(ﷺ) بعجيب ذكاءه جعل عناوين كل باب بمثابة شرح مختصر لأحاديثه، فجاءت تراجمه باروع انواع براعة الاستهلال، فمثلاً قال البخاري في صحيحه:

(باب الصلاة بعد الجمعة و قبلها)، ثم اورد في هذا الباب فقط حديث إبن عمر(رضي الله عنهما): (أن رسول الله(ﷺ) كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين في بيته، وبعد العشاء ركعتين، وكان لايصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين)، فقال إبن حجر: (ولم يذكر شيئاً في الصلاة قبلها، قال إبن المنير كأنه ((البخاري)) يقول الاصل استواء الظهر والجمعة حتى يدّل دليل على خلافه، لأن الجمعة بدلُ الظهر, قال وكانت عنايته. بحكُمْ الصلاة بعدها أكثر، ولذلك قدمه في الترجمة على خلاف العادة في تقديم القَبل على البَعْد. وقال إبن التين:

لم يقع ذكر الصلاة قبل الجمعة في هذا الحديث، فلعل البخاري أراد إثباتها قياساً على الظهر أنتهى، وقواه الزين إبن المنير بأنه قصد التسوية بين الجمعة والظهر في حكم التنفّل، كما قصد التسوية بين الامام والمأموم في الحكم، وذلك يقتضى ان النافلة لهما سواء أنتهى. والذي يظهر ان البخاري أشار إلى ماوقع في بعض طرق حديث الباب، وهو مارواه أبو داود وإبن حبان من طريق أيوب عن نافع قال: (كان إبن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلى بعدها ركعتين في بيته، ويحدّث أن رسول الله(ﷺ) كان يفعل ذلك)[1] إحتج به النووي في (الخلاصة) على إثبات سنة الجمعة التي قبلها....

ثم ختم إبن حجر شرح الباب بقوله: وأقوى مايتمسك به في مشروعية ركعتين قبل الجمعة عموم ماصححه إبن حبان من حديث عبدالله بن الزبير مرفوعاً: (مامن صلاة مفروضة إلاّوبين يديها ركعتان)، ومثله حديث عبدالله بن مغفل الماضي في وقت المغرب: (بين كل إذانين صلاة)، فتح الباري(٢/٥٤٨).

١- قول إبن حجر إنَ البخاري أشار..... الخ يعني به أن البخاري عرف هذا الحديث، ولكنه لم يدخله في صحيحه لأنه لم يروه بنفسه على شرطه.

وهكذا في كل ما ترجم له البخاري في صحيحه لطائف دقيقة مدهشة، تفطّن لمكنوناتها العلماء الأفذاذ، واستنبطوا منها أحكاماً كثيرة، حتى قالوا في وصفها: فتراجمه حيّرت الأفكار، وأدهشت العقول والأبصار، ولقد أجاد القائل: {أعيا فحولَ العلماء حلُّ رموزها ما – أبداه في الأبواب من أسرارِ}[1].

وأيضاً من إبداعاته التي لم يُسبق إليها: تكراره للحديث الواحد في عدّة كتب وأبواب من صحيحه، وكلّ مرة لإظهار سند آخر للحديث لتقويته، أو لاستنباط جميع أحكام الحديث الواحد كلٍ في موضعه وبابِه.

مدى قابلية ذاكرة الانسان علمياً

تقول البحوث العلمية: (إن الانسان إذا عاش ستين عاماً، فالصور التي تختزنها ذاكرته تزيد على ستين ملياراً من المعلومات، فلو أردنا أن ننسخ تلك المعلومات في الكتب لاحتاجت إلى آلاف المجلدات)[2].

إن هذا القول العلمي ينطبق تماماً على البخاري وأمثاله من أئمة الاسلام وعلماءه المشهورين طيلة التأريخ، لاسيما منهم أئمة المذاهب الأربعة المتبوعون من قبل الامة بأسرها، وما من مفسر و محدّث ولغوي أتى بعدهم الاّ واتبع أحد المذاهب الاربعة، وليس ذلك الا لأن الأئمة الاربعة قد نبغوا لابين عوام الأمة فحسب، بل بين علماء الاسلام نبوغاً علمياً نادراً، وأرتقوا مراقي العلوم إلى حيث لايصل إليها إلاّ أفراد من كل أمة، وثبت لأهل زمانهم ولمن بعدهم إمامتهم بلامنازع، وإنما نالوا ذلك اللقب لاحيازة من عند أنفسهم، ولا خلعة من عند سلطات أو جهات، وإنما ذلك بعد فضل الله عليهم، وهدايته لهم بتبحرّهم في العلوم المختلفة، وبتدريسهم لطلاب العلم، وبتخريجهم لمآت الأعلام في جامعاتهم العلمية

١– إرشاد السارى (٢٤/١).

٢– موسوعة الاعجاز العلمي (ص١٤٩).

الزاخرة، وبتصانيفهم العديدة المتنوعة، ولم يشتهروا بمجرّد تعدد التصانيف وتسويد الأوراق، وبكل ما يسمَّى مصنَّفاً، وإنما بإبداعاتهم وأختراعاتهم في علوم القرآن والسنة والشريعة واللغة وغيرها. ثم بعد كل هذا استنباطاتهم الشرعية الدقيقة من مكنونات بحار تلك العلوم، والتي لولاها لاضطربَتْ الامة الاسلامية في عقيدتها وشريعتها اضطراب الامم السالفة، ولحُرّف الكتاب والسنة تحريف الكتب السابقة، ولكن الله تعالى ربّي بعنايته لآخر أديانه الائمة الذين جعلهم أعمدة لمصداق وعده سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

نعم إذا لم يشغل المرأ عينه وفكره وقلبه بما لافائدة فيه من أمور الدنيا، لاسيما إذا صان نفسه من شهوات الفرج و البطن ومهيّجاتها، وقصر همومه على العلوم، فتكون تلك المليارات من المعلومات التي تستوعبها الذاكرة كلها علوماً نافعة مخزونة في طيّات فكره، بحيث كلّما أحتاج إلى صرفها استخرجها من خزائن فكره، وأنفقها على مصاريفها حيث أمر الله تعالى.

وهكذا كان دأب أئمة الاسلام وعلماءه المشهورين، فكانوا مخلصين لدين الله وعلومه بحيث لم يضيعّوا حتى أنفاسهم تمرّ هدراً، ولالخطاتهم تعبر عبثاً، فجعلوا من أعينهم وألسنتهم وآذانهم حرّاساً امناء أشدّاء على عقولهم وقلوبهم، حتى باتت حصونا منيعة لاينفذ إليها حتى الخواطر الشهوانية والدنيوية، فأصبحت مهابط للالهامات الالهية و الانوار القدسية، وأضحت منابيع لانواع العلوم النافعة، والتي هي جارية فياضة كبئر زمزم طيلة قرون سحيقة وإلى أيامنا هذه، ومما يجدر بالذكر انه لم ينبغ من البشرية أفذاذ من أمثال البخاري في أية أمة مثلماً نبغت في أمة الاسلام، وذلك بفضل التربية الاسلامية الصحيحة على تربتها الخصبة، وأجوائها الايمانية الطاهرة الصافية لنشوء براعم الفطرة نشوأً بطوليا سالماً.

فالصحابة الكرام (رضي الله عنهم) في البيئة النبوية المتعطرة، وبأفكارهم الخالية من غيرالله، وبقريحتهم الصافية، كانوا يحفظون السور الطوال من القرآن الكريم، ومآت الأحاديث بمجرّد سماعهم لها مرة واحدة، ومنهم العجب العجاب، حِبر الأمة عبدالله إبن

عباس(رضي الله عنهما)، جاءه شاعر من الزِّنا دِقة يتباهي أمامه بأنه يحفظ أشعاراً كثيرة في الأيام و الملاحم، فقال له إبن عباس: هات اشعارك، فأخذ الرجل في سردها عن ظهر قلب حتى أتى عن آخرها، فبلغت خمسمأة بيت، فقال له إبن عباس (رضي الله عنهما) وقد سمعها منه وهو واقف:

أن شئتَ أعدتها عليك، فاستبعد الشاعر قوله ظاناً عدم أمكان ذلك، ولكن حبر الأمة أخذ في إعادة أول أبياته سَرْداً حتى أعادها عليه بيتا بيتا إلى آخرها كما سمعها منه[1].

وكذا من التابعين وأتْباعهم من هذا الطراز نفر كثير، وهم الذين شهد لنا الاجيال عن الاجيال بعلوّ كعبهم بين الناس وبتميّزهم بالامامة، وبحشود أتباعهم من العلماء، وبشهرة مصنفاتهم ومدارسهم، ومنهم محمد بن أدريس الشافعي إمام أئمة الفهم والاستنباط، حفظ(رضي الله عنه) القرآن الكريم وهو إبن ست سنوات، وحفظ أربعة آلاف حديث وهو إبن العاشرة، وكان يحفظ الكتاب كلَّه بنظرة واحدة لكل صفحة منه، وكان يبدأ بتأليف الكتاب أوّل النهار وينتهي منه آخره.

ولكن لاغرابة في هذا له ولأمثاله الموهوبين المنَهْوُمين، فإنه الذي تربّى على أيدي أبرز علماء النفس والتربية أمثال وكيع بن الجراح، الذي يحكى الشافعي نصحيته له مُنشِدا:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال لي بأن العلم نور ونور الله لايُهدي لعاصي

بل حتى زمننا الشاغل الصاخب هذا لم يخل من ذي الذاكرة القوية والحفظ السريع، سمعت من الاستاذ ملا صالح (كوّزه‌پانكى)، وهو أحد خرّيجي جامعة الأزهر، وحامل شهادة الماجستير[2]، وهو الآن بحمدالله حيَ يرزق، فقال: أول مادخل صفّنا في جامعة الأزهر استاذ،

١- نظرات في القرآن لمحمد الغزالي.

٢- في السبعينات.

فقال لنا لنتعارف مع بعضنا، فطلب من كل واحد منا على التوالي أن نذكر اسمنا الثلاثي، وطلاب الصف يزيدون على الأربعين، فبدأ الأول بذكر اسمه الثلاثي حتى أنتهى الآخِر، ثم قال الاستاذ: من منكم حفظ كل هذه الاسماء الثلاثية؟ قال فقام أحد الطلاب وقال أنا، فبدأ بإعادة الاسم الثلاثي الأول، ثم تاليه، حتى أعادها كلّها دون خطأ أو تقصير.

وأهم ما قيل حول قوة ذاكرة الانسان وقابليتها العجيبة للحفظ: أقوال أطباء القلوب, وهم أئمة التصوف ومرشدوا تزكية النفس, ومنهم الامام العارف عبدالرحمن بن عطية الداراني, القائل: (القلب كالمرآت, إذا جُلِّيت لا يمرَ بها شئ إلاَ مُثِّل فيها) الكواكب الدرية ١\٦٧٦ والقلب في اصطلاح علم التصوف يرادف العقل في مقام العلم والحفظ.

أخلاقه وصفاته البدنية

كان البخاري(رضي الله عنه) نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، وكان قليل الأكل جداً، يتزَهَّدُ ويتقشّف[1] مكتفياً بالخبز، معرضاً عن الإدام[2]، حتى مرض من كثرة تقشّفه، وقد روى صاحب (هدى السارى) قول البخاري: {لم أئتدم منذ أربعين سنة}[3].

عبادته وتقواه

كان كل نهاره الدرس والتعليم، وليله العبادة و التهجد، وكان رحمه الله غاية في الحياء والشجاعة، والورع، والزهد في دار الفناء، والرغبة في دار البقاء.

١- التقشف: الأكل من القوت فقط.

٢- الإدام: مايؤكل تلذذاً كاللحم وغيره.

٣- إرشاد السارى (٤٦/١).

وكان يقوم في رمضان بعد صلاة التراويح كل ثلاث ليال بختمة، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة[1].

سخاؤه وصدقته

(ورث البخاري من أبيه مالاً كثيراً، فكان يتصدق به، وكان قليل الأكل جداً، كثير الاحسان إلى الطلبة، مفرطا فى الكرم)[2].

(وكان يكسب وينفق المال على الشيوخ وطلبة العلم، والفقراء والمساكين. قال ورّاقه: ذبح البخاري بقرة، فلما أدركتِ القدورُ دعا الناس إلى الطعام، وحضر مأة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه أجتمع ما أجتمع، وكنا أخرجنا خبزاً بثلاثة دراهم أو أقل، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة)[3].

عزته وتجنُّبه من السلاطين

(لما رجع البخاري إلى بلده بُخارا نُصبت له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهلها بلا إستثناء، ونُثر عليه الدراهم والدنانير، وبقى مدة يحدثهم، فأرسل إليه امير البلد خالد بن محمد الذهلي نائبُ الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله ان يأتيه بالصحيح ويحدّثهم به في قصره، ويعقد مجلساً خاصاً لأولاده لايحضره غيرهم، فامتنع البخاري من ذلك، وقال لرسول الأمير قل له: لايسعني أنْ أخصّ بالسماع قوماً دون قوم، وأنا لاأذلّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كان له حاجة إلى شيء منه ليحضر إلى مسجدي

١- المصدر (٤٦/١).

٢- إرشاد السارى(٣٣/١).

٣- إرشاد السارى (٣٧/١).

أو داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس[1] ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم، فحصلت بينهما و حشة فأمره الأمير بالخروج عن البلد، فخرج مضطراً)[2].

وقال ورّاقه: (كان للبخاري غريم قطع عليه مالاً كثيراً وخرج إلى خوارزم، فقلنا له ينبغي ان تقول لأبي سلمة الكتّاني عامل بلدة (آمل)، ليكتب إلى أمراء خوارزم لإسترداد المال منه، فقال إنْ أخذت منهم كتاباً طمعواً مني في كتاب، ولست أبيع ديني بدنياي) طبقات الشافعية(١/٤٣٥).

وفاؤه حَتَّى بالوعد القلبي

(أرسل إليه أبو حفص بضاعة، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم أنصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تُجّار آخرون يطلبونها بربح عشرة آلاف درهم، فردّهم وقال: إني نويت البارحة بيعها للذين أتوا البارحة، ولا أحب أن أغير نيّتي)[3].

فتأمل في ورع هذا العالم الرباني، فأنه وأن لم يَعدْ بالقول التجار الذين أتوه بالعشية، إلا أنه لم يبع البضاعة لمن أتوه بالغد، وصبر على خسارة خمسة آلاف درهم وهي صفقة رابحة، لمجرد أنه ربما نوى بقلبه بيعها لمن أتوه أوّلاً، فلم يخالف من شدة خشية الله حتى الوعد القلبي، وهذا منتهى التقوى والورع والزهد. ولاشك أن البخاري وأمثاله من علماء أمة سيدنا محمد(ﷺ) هم المصاديق المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

١- أي من مجالس درسه للناس.

٢- أرشاد السارى (١/٣٨) و التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١/٣٢).

٣- أرشاد السارى (١/٣٣).

تواضعه

قال ورّاقه : (أن البخاري بنى رباطاً[1] مما يلي بخارا، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له أنك تُكفى ذلك، فيقول: هذا الذي ينفعني)[2].

فرحم الله إمام أئمة السنة فإنه إقتدى في ذلك بسنة رسول الله(ﷺ) الذي كان يشارك أمته في كل أعمال الخير، كما كان(ﷺ) يحمل اللِبن على كتفه المبارك لبناء المسجد بالمدينة المنورة، وكما كان يكسر الصخور العظيمة بالمعول في حفر الخندق أسوة باصحابه.

تواضعه وإخلاصه في طلب العلم

كان البخاري يقول: (لايكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه)[3].

أن نصيحة إمام القرن الثالث هذه للعلماء وطلاب العلم تماماً كنصيحة إمامٍ من أئمة القرن الأول عبدالله بن عمر حيث قال: (لايكون الرجل من العلم بمكان حتى لايحسد من فوقه، ولايحقر من دونه، ولايبتغي بالعلم ثمناً)[4]، وتماماً كنصيحة إمام من أئمة القرن الثاني سلمة بن دينار كما قال: (أن العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقى العالم منهم مَنْ هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة، وإذا لقىَ من هو مثله ذاكره، وإذا لقى من هو

١- الرباط: مكان الحراسة للجهاد، ومكان عبادة وخلوة الصوفيين.

٢- المصدر (٣٣/١).

٣- إرشاد الشارى (٣٣/١)

٤- رواه أبو نعيم في الحلية.

دونه لم يَزْهُ[1] عليه، حتى إذا كان هذا الزمان فهلك الناس)[2] فرضى الله عن الصحابة والتابعين وتابيعهم باحسان.

طهارة قلبه ولسانه من الغيبة

قال الامام البخاري: (ما أغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضرّ أهلها. وقال: أرجو أن ألقَى الله ولايحاسبني أني أغتبتُ أحداً.

قال الامام القسطلاني: ويشهد لذلك كلامه في التجريح و التضعيف، فإنه أبلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط: فيه نظر، أوسكتوا عنه، ولايكاد يقول: فلان كذاب)[3].

وقال ورّاقه سمعته يقول: (لايكون لي خصم في الآخرة، فقلت يا أبا عبدالله أن بعض الناس ينقم عليك التأريخ[4]، يقول فيه أغيتاب الناس[5]، فقال: إنما روينا ذلك رواية، ولم نقله من عند أنفسنا، وقد قال الرسول(ﷺ): {بئس أخو العشيرة})[6].

تعظيم البخاري للشافعي

قال القسطلاني: (قال الامام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية: (لم يرو البخاري

١- لم يتكبر عليه.

٢- المصدر.

٣- إرشاد السارى (٤٦/١).

٤- أي كتابه التأريخ الكبير.

٥- أي كمافي أقوال المحدثين في الجرح: فلان الراوي كذاب لايقبل منه الحديث، وفلان مدلّس حديثه ضعيف....الخ. وإنما أضطروا إلى هذا للامانة الدينية و العلمية لخدمة أحاديث الرسول.

٦- إرشاد السارى (٣٣/١).

عن الشافعي في الصحيح[1]، لأنه أدرك أقرانه والشافعي مات مكتهلاً[2]، فلا يرويه نازلاً[3].

وتوضيح هذه اللطيفة: ان سند الحديث في الاصطلاح ينقسم بإعتبارٍ إلى عال و نازل، فالسند العالي: هو سند حديث عددُ رواته أقلّ من رواة سند آخر لنفس الحديث.

والسند النازل: هو سند حديث عدد رواته أكثر من رواة سند آخر لنفس الحديث. والبخاري لم يدرك أيام الشافعي ولم يره، وإنما أدرك أقرانه من أصدقاءه وتلاميذه الذين عاشوا بعده، لأن الشافعي توفّى سنة (٢٠٤) في سنّ الكهولة وعمر البخاري عشر سنين، وهو بعدُ في وطنه بخارا. ومعلوم أن أسانيد الاحاديث التي رواها الشافعي عالية لقلة عدد الرواة بين الرسول(ﷺ) والشافعي، فمثلاً روى الشافعي عن مالك، وهو عن الصحابة، أو على الاكثر: روى الشافعي عن مالك، وهو عن تابعي آخر فعن الصحابة. وبعد وفاة الشافعي إلى أنْ بدأ البخاري بالرواية زاد عدد الرواة بينهما بروا واحد أو أثنين، إذن أصبحت الاسانيدُ التي من ضمن رواتها الشافعيُ أسانيدَ نازلةً بالنسبة للبخاري بالمقارنة بينها وبين نفس الروايات الموجودة في نفس الوقت برواة أقلّ.

لذا لم يرو البخاري في صحيحه (الذي كل أسانيده عالية) عن الشافعي حتى لايُدرج اسمه في الاسانيد التي تسمّى نازلة، وذلك لإمامة الشافعي في الحديث ولجلالة قدره عنده، ولأن الشافعي إذا كان في سند مع أمثاله كمالك وأبي حنيفة وسفيان الثوري يسمّى السَّند باصح الاسانيد وأعلاها، ويسمّى أيضاً بالسلسلة الذهبية.

فسبحان الله من هذه التربية النبوية والآداب الزكية النزيهة العطرة لعلماء الاسلام الحقيقيين الربانيين. ولاجرم لايعرف العالم إلاّ العالمُ.

١- في صحيح البخاري.

٢- أي في سنّ الكهولة.

٣- إرشاد السارى (٤٦/١) وطبقات الشافعية(١/).

من نصائحه المختصرة

قال الامام البخاري منشداً:

إغتنمْ في الفـراغ فضل ركوع فعسى أن يكون مـوتك بغتة

كم صحيح مات من غير سُقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتة[1]

وقال وراقه قلت له (هل من دواء للحفظ؟ قال لا أعلم، ثم أقبل علىّ فقال: لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة[2] الرجل ومداومة النظر)[3].

وحقا كما قال إمامنا لاسبيل إلى تقوية الذاكرة الحافظة إلاّ بأدمانها وترويضها على النظر و التدقيق والتحقيق في العلوم.

من كراماته برؤية رسول الله(ﷺ) وغيرها

روى العلماء بالاسناد الثابت المتصل عن البخاري أنه قال:(رأيت النبي(ﷺ) وكأنني واقف بين يديه، وبيدى مروحة أذبّ بها عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي أنت تذبّ الكذب عنه، فهو الذي حملني على أخراج الجامع الصحيح)[4].

وعن الفربري[5] قال (رأيت النبي(ﷺ) في المنام فقال لي: أين تريد؟ فقلت أريد البخاريّ، فقال رسول الله(ﷺ): أقرأه مني السلام)[6].

وقال رفقاؤه من العلماء: (كان البخاري مُجاب الدعوة)[7].

١- إرشاد السارى (٣٦/١).

٢- النَهْمَةُ: الهمّة في الشيء، والولع به.

٣- مقدمة فتح الباري (٦٨١).

٤- إرشاد السارى (٢٩/١).

٥- هو من تلاميذ البخاري، وما قبل آخر من رووا الصحيح عنه.

٦- طبقات الشافعية الكبرى (٤٣٢/١).

٧- إرشاد السارى (٢٩/١).

ومن كراماته ماسبق من وقوع البركة الكثيرة في إطعامه للناس، وسيجيء قبول دعاءه على خصومه، وكيف أن الله أنتقم منهم وأذلّهم وستأتي كرامة أخرى له بعد وفاته.

إجابة الدعاء بالتوسل به عند قبره

قال أبو علي الحافظ[1]، (أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السمرقندي: في عام أربعمأة وأربعة وستين قحط المطر عندنا بسمرقند، فاستسقى الناس مرارا فلم يسقوا , فأتى رجل صالح معروف بالصلاح الى قاضى سمرقند وقال له: إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك، قال وماهو؟ قال أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الامام محمد بن إسماعيل البخاري، وتستسقى عنده, فعسى الله أن يسقينا, فقال القاضى نعم ما رأيت, فخرج القاضي ومعه الناس واستسقى بهم، وبكى الناس عند القبر، وتشفّعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم، غزير أقام الناس من أجله بـ(خَرتْنْك) سبعة أيام أو نحوها لايستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين سمرقند وخَرتَنْك ثلاثة أيام)[2].
فرضى الله عن إمام أئمة السنة كان مجاب الدعوة حياً وميتاً.

توسل البخاري بمرقد النبي(ﷺ) لتصحيح صحيحه

قال الامامان المحدثان ابن حجر و القسطلاني في شرحيهما على صحيح البخاري: (وإنما بلغ –صحيح البخاري– هذه المرتبة، وفاز بهذه المنقبة لما روى أن البخاري بيّضها[3] بين بين
قبر النبي ومنبره، وأنه كان يصلي لكل ترجمة ركعتين)[1].

١– استعمل علماء الحديث مصطلح (الحافظ) فقط لأئمة المحدّثين.
٢– إرشاد السارى (٣٩/١).
٣– بيّضها: هذبها وأنتهى من تصنيفها.

وقال البخاري: (صنفت كتابي الجامع الصحيح في المسجد الحرام، قال ابن حجر: ابتدأ تصنيفه وترتيب أبوابه في المسجد الحرام)[٢]. أي ثم نقّحه و هذّبه في المدينة المنورة بين قبر رسول الله(ﷺ) ومنبره.

طلب الامام مسلم من البخاري تقبيل رجليه

لماّ علم الامام مسلم بسعة علم البخاري المدهش، وأحاطة معارفه بالاسانيد وعلل الحديث، ولماّ نبّهه البخاري على علة دقيقة في سند أحد الأحاديث، قال مسلم: (قلت للبخاري: دعني أقبّلْ رجليك يا أستاذ الاستاذين، وياسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله)، ذكرها ابن كثير في البداية و النهاية(٢٣/١١)[٣].

ثناء العلماء على البخاري

قال الامام مسلم للبخاري: (أشهد أنْ ليس في الدنيا مثلك)[٤]، وقال قتيبة بن سعيد: (جالست الفقهاء، والعُبّاد، والزهاد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة، ولو كان في الصحابة لكان آية)[٥].

قال بندار بن بشار: (هو أفقه خلق الله في زماننا)، وقال رجاء بن مرجي: (هو آية من آيات الله تمشي على الأرض)[١].

١- إرشاد السارى (٢٤/١).

٢- إرشاد السارى (٣٦/١).

٣- إرشاد السارى (٣٤/١) ومقدمة فتح الباري (٦٨٢).

٤- إرشاد السارى (٣٥/١).

٥- إرشاد السارى (٤٦/١).

وقال الامام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية:(كان البخاري إمام المسلمين، وقدوة المؤمنين، وشيخ الموحدين، والمعوّل عليه في أحاديث سيد المرسلين)[٢].

وقال السبكي أيضاً بعد ذكره لكثير من فضائل البخاري: (وأعلم ان مناقب أبي عبدالله كثيرة، فلا مطمع في أستيعاب غالبها، والكتب مَشْحونة بها، وفيما أوردناه مقنع وبلاغ) طبقات الشافعية(٤٣٦/١)، وخلاصة القول في إمامة البخاري بين العلماء، وجلالة قدره لدى الأذكياء، أن من مدحوا البخاري من أئمة الاسلام، وأثنوا عليه في حال صغره وكبره: لايحصون كثرة، وكما قال الامام ابن الملقن في شرحه الأطول لصحيح البخاري المسمَّى بـ(التوضيح لشرح الجامع الصحيح): (نبذة من حال البخاري، فإنها تحتمل تصنيفاً)[٣].

كثرة شيوخه، وكدحه في طلب الحديث

قال البخاري: (كتبت عن ألف وثمانين نفساً، ليس فيهم إلا صاحب حديث)[٤]. وقال ابو جعفر القطان، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: (كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف حديث وأكثر، ماعندي حديث إلا أذكر اسناده) طبقات الشافعية الكبرى(٤٣١/١)، يعني أنه لم يأخذ الحديث عن كل من تحدّث به، بل عن علماء الحديث الحفّاظ والرواة الصادقين الموثوقين.

وهكذا بالدرس والتلقى من أفواه العلماء المختصّين أصبحوا علماء، ومحدثين، كما أرشد رسول الله(ﷺ) فيما رواه البخاري: (إنما العلم بالتعلم): أي بالتعلّم عند العلماء

١- المصدر (٣٦/١).

٢- إرشاد السارى (٤٦/١).

٣- التوضيح (٤٥/٢).

٤- إرشاد السارى (٣٢/١).

لابمجرد مطالعة الكتب في أيّ علم كانت، كحال بعض من يسَّمى محدّثاً في هذا الزمان, وهو أبعد ما يكون من المسمَّى.

وقال ورّاقه محمد بن أبي حاتم: (كنت مع البخاري في سفر، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة[1] فيوري[2] ناراً ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيُعْلم[3] عليها، ثم يضع رأسه) طبقات الشافعية(٤٢٩/١).

وقال وراقه أيضاً: (سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في تصانيفي من الحديث، فإذا نحو مأتىْ الف حديث) مقدمة فتح الباري (ص٦٨١).

مصنفاتـه

بلغ عدد مصنفات البخاري إلى أكثر من مأة وعشرين، قال الامام القسطلاني: (عدد مصنفاته مأة وشيء)[4].

ومعلوم ان المشهور والمتداول من ذلك العدد الكثير لدى العلماء والقرّاء في زماننا هذا: صحيح البخاري، وعدّة كتب أخرى له، وإليك عدد آخر من أسماء تلك المصنفات عدا جامعه الصحيح:

الادب المفرد	خَلْق أفعال العباد	كتاب الأشربة
برّ الوالدين	كتاب الضعفاء	كتاب الهبة
التأريخ الكبير	الجامع الكبير	كتاب المبسوط
التأريخ الاوسط	المسند الكبير	كتاب العلل

١- القدّاحة: حجر كانوا يوقدون به النار.

٢- يوري: يوقِد.

٣- يُعلم: يشير عليه بعلامة

٤- المصدر (٢٨/١).

التأريخ الصغير	التفسير الكبير	كتاب الكُني
	كتاب الفوائد	
	كتاب: من ليس له الاّ حديث واحد من الصحابة	

قال ابن حجر: (وهذه الكتب موجودة مرويّة لنا بالسماع و الإجازة)[1]، فالامام الحافظ إبن حجر كما صرح به: أنه درس كل هذه الكتب للبخاري بأسانيدها سماعاً عند علماء زمانه، حتى أنهم أجازوه لرواية جميع مافيها، وتدريسها، ونشرها بدوره.

ومما يفيد التنبيه عليه هنا: ان ابن حجر الشافعي مذهباً، والاشعري عقيدة، وصاحب كنز فتح الباري، وغيره من أهمّ مصادر الحديث وعلومه: هو كالامام البخاري أحد أئمة الحديث القلائل الذين لُقّبوا بـ(أمير المؤمنين) في الحديث، وذلك لتضلُّعه و تبحرُّه في حفظ الحديث، وإتقانه لعلومه.

إمتحانه من قبل علماء الحديث بسمرقند

كان البخاري لنبوغه بين أهل زمانه، وشهرته في ذكاءه منذ صغره يختبر كثيراً من قبل العلماء وطلاب العلم، وفي كل مرة يثبت جدارته ويؤكد نجاحته بما يبهر العقول، وفي بعض الأحايين أُوقِع في إختبارات علمية عسيرة بحيث لاينتصر فيها إلاّ النخبة من الفحول وأقوياء العقول، الذين اصطفاهم الله وأعلاهم على أكثر عباده لحكمة علمها هو سبحانه وتعالى.

قال أبو الازهر: (كان بسمرقند أربعمأة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبّوا مغالطة البخاري، فأدخلوا أسناد الشام في أسناد العراق، وإسناد العراق في إسناد

١- إرشاد السارى (٣٦/١).

الشام، وإسناد اليمن في إسناد الحرم، فما استطاعوا مع ذلك ان يتعلقوا عليه بسقطة لا في الاسناد ولا في المتن)[1].

وإليك توضيح مسائل هذا الامتحان:

بعد أنْ أجتمع هذا العدد الهائل من المحدّثين، وبعد تشاورهم مع بعضهم سبعة أيام لنسج أدق الالغاز وإلقائها على البخاري، لم يكتفوا بتدبير أصعب المسائل تعقيداً، بل أخترعوا له من المعضلات مايكون أشدّ حَلاًّ على كلّ متبحِّر في علوم الحديث وحفظه.

فمثلاً أسانيد الشام عبارة عن مآت إلى آلاف الرّوّاة بّدْءً بالصحابة وإنتهاءً بمن روى عنهم البخاري أثناء سنوات تحصيله للحديث، وهي أوائل القرن الثالث، وسلسلة إسناد كل حديث إلى هذا التأريخ يتكون من أربعة إلى ستة من الرواة كما حققتُ ذلك في صحيح البخاري، وكل راو يتميز عن غيره باسمه الثلاثي وكنيته ولقبه ومسكنه وتأريخ ميلاده ووفاته.

ولو فرضنا مقلّلين أن في الشام ألفاً من الاسانيد على أقل تقدير، وفي العراق ثلاثمأة منها، وفي اليمن ثلاثمأة، وفي الحرم أربعمأة، فكان على البخاري لنجاحه في الاختبار أن يكون حافظاً للعناوين الكاملة لاثنى عشر ألفاً من الرواة، وذلك بأسمائهم الثلاثية، والقابهم، وكناهم، ومساكنهم، وتواريخهم، هذا إضافة إلى حفظ مالاً يقل عن الفى حديث، لكلّ سندٍ حديث واحد على الأقل.

ثم لو كان مطلوب المختبرين من البخاري منحصراً في معرفة عناوين ذلك الحشد من الرّواة ولو بِسَرْدها عن ظهر قلب، ولكن باسلوب اللف النشر المرتّب، لكان الأمر أهون إلى حدّما، ولكنهم وهم أربعمأة من أهل الحديث، وقد دبّروا له أعظم مكيدة على طريق اللف والنشر المشوش المعكوس، فعمدوا إلى تحويل أسانيد الشاميين إلى العراق، وربطها بمتون أحاديث العراقيين، وتحويل أسانيد العراقيين إلى الشام وربطها بمتون أسانيد الشاميين،

١- إرشاد السارى (٣٤/١).

وعلى هذا المنوال صنعوا بأسانيد ومتون اليمن والحرم. ثم مع كل هذا لم يلْحظوا منه ادنى سقطة ولا كَبْوةٍ، ورأوا بعيونهم ما لم يتخيلوا بعقولهم , فردّ البخاري في الحال كل أسانيد الشام إلى متون الشاميين، وأسانيد العراق إلى متون العراقيين، وهكذا فعل بأسانيد ومتون الحرم واليمن.

هذا وإن مايثير الدهشة في فَطانة البخاري هنا:

أنه فك كل هذه الالغاز، وكشف كل هذه المعمّيات في مجلس الاختبار، وحال إلقائها إليه حفظاً وإرتجالاً. فللّه درَّهُ مِن آية، وأنعمْ بمن لقّب بإمام الأئمة، وخُلع عليه تاج: أمير المؤمنين في الحديث.

إمتحانه ببغداد

أما امتحانه ببغداد، فكان أدقّ وأصعب بكثير مما كان بسمرقند كمايلي، وإنما أخرت هذا عن ذاك لتوضيح المقدِّم للتالي.

قال أحمد بن عدى الحافظ، سمعت من المشايخ يحكون: (أن البخاري قدم بغداد، فاجتمع أصحاب الحديث، وعمدوا إلى مأة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر، وأسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس أمتحانا.

فاجتمع الناس من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم، ومن البغداديين، فلمّا أطمأنّ المجلس بأهله انتدب أحدهم فقام وسأله عن حديث من تلك العشرة، فقال: لا أعرفه فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، حتى فرغ من العشرة. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: أن الرجل فهم، ومن كان لايدري قضى عليه بالعجز.

ثم أنتدب آخر ففعل كفعل الأول، والبخاري يقول لا أعرفه، إلى أنْ فرغ العشرةُ أنفسٍ، وهو لايزيد على لا أعرفه، فلما علم أنهم فرغوا التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فقلتَ كذا، وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا، وصوابه كذا، والثالث و الرابع على الولاء

حتى أتى على تمام العشرة، فردّ كل متن إلى اسناده، وكل اسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقرّ الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل)[1].

كما ينجلى للناظر في الرواية أن مجلس هذا الامتحان بحضور الجمّ الغفير من أكابر أئمة السلف من المحدّثين والفقهاء وطلاب العلم، وغيرهم من الأمراء والعامة، كما كانت العادة في تبادرهم إلى مجالس العلم –كان مشهداً علمياً مَهيلاً، وأن وقائعه لم تكن مجرّد امتحان علمي عسير نجح فيه عالم من العلماء عابراً، بل كان حدثاً عظيماً من الحوادث العلمية التأريخية النادرة الوقوع، وشخصيتها من أعظم أبطال المعرفة نبوغاً، وأقواها عقلاً، وأرسخها علماً، ولا أعتقد أن من الممكن لأيّ باحث خبير بنوابغ البشرية وأفذاذها أن يدلّنا على شبيه للبخاري من بين فلاسفة الامم وعباقرة التأريخ، اللهم ألاّ في سلف أمة سيدنا محمد(ﷺ).

فتأمّل في سعة ذكاء إنسان لايُعْييه أشدّ المعضلات، ولايُصيبه بالكلال، بل يراه أمراً هيّناً من أمور الارتجال، فلو قلنا على أقلّ تقدير أن لمأة حديث مأة سند فقط[2]، ولكل سند خمسة رواة، فهذا يعني أن البخاري كان يحفظ خمسمأة من الاسماء الثلاثية، أي ألفاً وخمسمأة إسم، كذا خمسمأة تأريخ لمواليد الرواة، وخمسمأة لوفياتهم، وخمسمأة لقب، وخمسمأة كنية، وخمسمأة موطن ومسكن لهم، ثم خمسمأة من متون أحاديث رسول الله(ﷺ).

ثم الاشدّ أندهاشاً من كل هذا تفطّنُ البخاري لما أحتال عليه المختبرون من قلب متون وأسانيد مأة حديث رأساً على عقب، وإعادته لجميع تلك الحشود المشرّدة من المعارف إلى أنصبتها سالمة صحيحة.

١– مقدمة فتح الباري، وإرشاد السارى (٣٤/١)، والباعث الحثيث(٤٤).

٢– لأن أحاديث كثيرة لها عشرة أسانيد.

فلم أبالغ فيما قلت، ولن اتجازف ان حلفت انه لم يولد مثل البخاري في غير أمة خاتم الرسل(ﷺ)، ولا جَرَم أنه لايفسَّر العجب في ذكاء هذا الجِهبذ الفريد إلاّ بأنه معجزة من معجزات سيد الرسل، وأن وجود مثله في أمة الاسلام أوضح دليل على نبوة خاتم الرسل.

ومما ينبغي ان نختم به هذه النبذة حول قوة عقل البخاري: أن ما أظهره في هذا الامتحان ليس هو مبلغ علمه، ولا أقصى حفظه، بل كان ذلك منه غيظاً من فيض، ومما جادت به قريحته أرتجالاً وإستهلالاً، لاكلالاً ومَلالاً.

حسد بعض العلماء على البخاري ومحنته

(لماّ دخل البخاري نيسابور سئله رجل عن مسئلة خلق القرآن، فأجابه بكلام واضح بليغ: ((أفعالنا مخلوقة، والفاظنا من أفعالنا))، فاستغلّ بعض الحسّاد كلامه، واخذ ينشر بين الناس ان البخاري قال: ((لفظي بالقرآن مخلوق))[1].

وسئله حسّاد آخرون يتربصون به سِقْطة لتعييبه بها:

(ماتقول في اللفظ بالقرآن امخلوق هو ام غير مخلوق؟ وألحّوا عليه ثلاثاً والبخاري ساكت، إلى أن أجابهم: ((القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة))، فجعلوا من هذا الكلام مطعنا عليه حسدا من عند انفسهم، حتى ان (الذهلى) وهو من كبار علماء الحديث بنيسابور، ومن حسّاد البخاري، كان يطعنه ويذيع بين الناس ان البخاري يقول بخلق القرآن، وحذّر الناس من مجالسته، وأعلن أنْ لايجلس إلينا من يذهب إلى مجلس البخاري، فترك الناس مجلسه سوى الامام مسلم، واحمد بن

١- إرشاد السارى (٣٨/١).

سلمة، وغضب الامام مسلم من الذهلي وردّ إليه كل ماكتبه عنه، فغضب الذهلي، وهدّد بطرد البخاري من نيسابور، فخرج البخاري خوفاً على نفسه)[1].

هذا مع ان البخاري قد صرّح وقال: (من نقل عني أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق، فقد كذب عليّ، وإنما قلت: أفعال العباد مخلوقة)[2].

ومع خروج البخاري من نيسابور مضطراً مظلوماً، كان من سماحته وورعه يقول: (ان الحامد عندي والذامّ من الناس سواء)[3].

رجوعه إلى بخارا ومحنته الاخرى

(لماّ رجع إلى بخارَا نصبت له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامّة أهلها بلا إستثناء، ونثر عليه الدراهم و الدنانير، وبقى مدّة يحدّثهم، فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي نائبُ الخلافة العباسية يتلطّف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدّثهم به في قصره، فامتنع البخاري من ذلك، وقال لرسوله: قل له أنا لا أذلّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فان كان له حاجة إلى شيء منه فليحضر إلى مسجدي او داري، فان لم يعجبك هذا فانت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عندالله يوم القيامة أني لا أكتم العلم، فحصلت بينهما وحشة، فأمره الأمير بالخروج عن البلد، فدعا عليه البخاري و

١- إرشاد السارى (٣٨/١).

٢- المصدر (٣٨/١).

٣- إرشاد السارى (٣٨/١).

كان مجاب الدعوة، فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادى على خالد على أتان[1]، وحبس إلى أن مات، ولم يبق أحد ممن ساعده إلا ابتلى ببلاء شديد)[2].

وهكذا انتقم الله عاجلاً من الأمير الذي ظلم البخاري بأنْ اغضب عليه الخليفة العباسي حتى اصدر مرسوماً بأن يُركب الأمير على أتان، ويطوّف به في بلد إمارته وسلطنته ليراه الناس على أذلّ حالة وأشدّها مهانة. وهذا جزاء من عادى اولياء الله تعالى والعلماء الربانيين.

خروجه من بخارا ومحنته الاخيرة ووفاته

(ولما أُخرج البخاري من بلده بخارا كتب إليه أهل سمرقند يدعونه إلى بلدهم، فسار إليهم حتى وصل إلى (خَرْتَنْك)، بلغه ان أهل سمرقند وقع بينهم فتنة بسببه، فناس يريدون مجيئه، وآخرون لايريدون ويكرهونه، وكان له أقرباء بها فنزل عندهم حتى ينجلي الأمر، فأقام أياماً فمرض، حتى جاءه رسول سمرقند فبلّغه أنهم يريدون مجيئه إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خُفّيه وتَعَمَّم، فلما مشى قدر عشرين خطوة إلى الدابة ليركبها، قال أرسلوني[3] فقد ضَعُفْت، فأرسلوه فدعا بدعوات ثم أضطجع فقضى[4]، فسار عرق كثير لايوصف، وما سكن منه العرق حتى أُدرج في اكفانه)[5].

وروى بعض المحدثين ان البخاري ضجر ليلة، فدعا بعد أن فرغ من صلاة الليل:

١- الاتان انثى الحمار.

٢- إرشاد السارى (٣٨/١).

٣- أي اتركوني.

٤- أي مات.

٥- إرشاد السارى (٣٨/١).

اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحُبَت، فاقبضني إليك، فمات في ذلك الشهر ليلة السبت، ليلة عيد الفطر، سنة ستٍ وخمسين ومأتين، عن اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً، وكان اوصى أنْ يكفَّن في ثلاثة اثواب، ليس فيها قميص ولا عمامة، ففُعل به ذلك ودُفِن(رضي الله عنه) بخرتَنْك، وهي قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها. طبقات الشافعية (١/٤٤٠).

من كراماته بعد وفاته

(ولما صُلّى عليه ووضع في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أياماً، وجعل الناس يختلفون[١] إلى قبره مدّة يأخذون منه)[٢].

ومما يؤكد حدوث هذه الكرامة وغيرها للبخاري، مارواه الامام تاج الدين السبكي وقال:

(قال وراقه فلما دفنّاه فاح من تراب قبره رائحة غالية، فدام على ذلك أياماً، ثم علت سوارى بيضٌ من السماء مستطيلةٌ بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون، وأما التراب فكانوا يأخذونه حتى ظهر القبر، ولم يمكن حفظ القبر بالحراس، وغُلبنا على انفسنا، فنصبنا على القبر خشباً مشبّكاً)[٣]. وقد رَوَى أئمة الحديث ظهور مثل هذه الكرامة تواتراً لكثير من الأولياء والرَّبانيين, ومنهم التابعي الجليل عبدالله بن غالب, الذي استشهد يوم الزاوية على يد اتباع السفَّاك الفاسق حجاج بن يوسف الثقفي, قال الإمام المناوي: (فكان يوجد من قبره ريح المسك)[٤].

١- يختلفون: يزورونه ويعودون إليه كثيراً.

٢- إرشاد السارى (١/٣٩).

٣- طبقات الشافعية الكبرى (١/٤٤١).

٤- الكواكب الدُّرية ج١ ق٢ ص٣٤٦.

كذا من الكرامات التي ظهرت له أثناء وفاته، مارواه عبدالرحمن بن آدم الطَّواويسى، قال: (رأيت النبي(ﷺ) ومعه جماعة من اصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه، فردّ السلام، فقلت ما وقوفك هنا يارسول الله؟ قال انتظر محمد بن اسماعيل.

قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت فاذا هو في الساعة التي رأيت فيها النبي(ﷺ)[1].

قال الامام القسطلاني: (ولما ظهر أمره[2] بعد وفاته، خرج بعض مخالفيه إلى قبره، واظهروا التوبة و الندامة)[3].

مما يؤخذ من العبر في هذه الروايات، أن الامام البخاري(رضي الله عنه) شأنه شأن العلماء الربانيين كان عزيز النفس، أبياً، شجاعاً، غنياً عن أيدي الأمراء والسلاطين، فلم يتذلّل الا لرب العزّة، ولم يفتقر الاّ لرحمته التي وسعت كل شيء، ولاجرم أنه بهذا إرتقى إلى ذُرا الامامة وقِمَم الجاه عند الخاصة والعامة، واعتلى عرش قلوب جماهير المسلمين إلى يوم القيامة، وكفى بهذا العَلَم الاشمّ عزةً وإباءً أنه تحدّى كبير سلاطين بلده بقوله: (أنا لا أذلّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، وليأت الأمير وأولاده إلى مسجدي أو داري إن أرادوا العِلم)، هذا وأنه لو استجاب لطلب الأمير لخلع عليه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ولحصل وحده من بين علماء البلد على قمّة الجاه والشوكة، ولكنه مع امامته ومكانته إختار الغربة والتشرّد، ومفارقة الوطن والاحباب على الخضوع لغير الله تعالى، وإذلالِ العلم، وكما حدث للبخاري أن العلماء الربانيين المخلصين لله ولدينه يُخاصمون دوماً من قبل السلاطين من جهة، ويُعادون من قبل ذوي النفوس المريضة الدنيئة من جهة أخرى،

١- إرشاد الساري (٣٩/١)

٢- بظهور الكرامات العديدة له, و بحزن عامة المسلمين على وفاته.

٣- المصدر (٣٩/١).

ولاينجو حتى أمثال البخاري من لهيب اعين الحسّاد وحصائد السنتهم، لاسيّما ان مرض الحسد داء عُضّال يصيب حتى العلماء، الا من عَصِمَهُمُ الله، ومن استغاثوا به للسلامة او الشفاء منه.

وكما جُرّب، وكما حدث للبخاري وخصومه ان المحسود ينتصر دائماً، وان الحاسد يفتضح ويذلّ، وذلك لـ(ان الله يدافع عن الذين آمنوا)، ولأن من عادى لِله ولياً فقد آذنه بالحرب، و ويل لمن حاربه رب السماوات و الأرض.

ومن خسارة الحاسد العاجلة قبل الآجلة، ان ضراوة نار الحسد في نفسه تأكل ما كان عنده من العلم و الإيمان، وتُسوّد قلبه وتُضعف ذهنه كما تأكل النار الحطب وما يحويها، قال امام السلف سلمة بن دينار(رضي الله عنه): (لاتكن حاسداً تكن سريع الفهم)[1]. ومن خبث مرض الحسد وهلاك المصاب به، قال اطباء النفوس وعلماء الارشاد في الاسلام: (تُعالج العداوة مع كل إنسان، إلا مع الحاسد)، وقال إمامنا الشافعي: (كل العداوة تُرجى إماتَتُها – إلا عداوة من عاداك على حسد)[2].

وهذا لأن الحاسد يعادى عبادالله لا لشيء، وإنما على ما آتاهم الله من فضله، وبلا سبب ودون أىّ حقّ، وإنما علل العلماء كون الحسد من الكبائر العظيمة عدا عن ورود النصوص الكثيرة في تشنيعه:

لأن الحاسد غير راض بما قسّم الله ماقسّم لمن شاء من عباده، لذا شدّد الله سبحانه على توعّد الحساد بصريح عموم قوله: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)، وأمر بالاستعاذة من شرورهم، والتوقى من خبث اعينهم ونَتْن ألسنتهم، وجعلهم قرناء وإخوة للشرّيرات النفاثات في العقد، ومن علامات خسران الحاسد، وهلاك ماهو فيه، أنه في

١– حلية الاولياء للحافظ أبى نعيم الاصفهاني.

٢– ديوان الامام الشافعي.

قلق نفسي دائم، وتوتر فكري دائب، كما يظهر ذلك جليا في خبث سريرته، وكثرة أكلِهِ للحوم المسلمين وشرب دمائهم.

فتباً لدينا يشرّد فيها البخاري، ويموت فيها غريباً مطروداً مهموماً، وتباً للحاسدين وعلماء السوء وقراء السلاطين الذين عادوا البخاري والربانيين، والذين يعادون دوماً كل من يفيد المسلمين، ويخلص لله ولدينه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

نصيحة الامام البخاري

والآن لنُمعن النظر في المقصود من هذه الرسالة، وهو النصيحة الثمينة للامام البخاري، والتي من الضروري لطلاب العلم والعلماء تكرار مطالعتها، وكثرة التمعن فيها، لاسيّما لمن اشتاق إلى الاطّلاع على نبذة جامعة في علوم الحديث، وكيفية التحديث، ومن هو العالم في الحديث:

روى الامام العلاّمة شهاب الدين أحمد ابن محمد الخطيب القسطلاني[1]، صاحب الشرح الفياض على صحيح البخاري، المسمّى (أرشاد السارى إلى شرح صحيح البخاري): بالسند المتصل الصحيح، فقال:

(قال ابو المظفر محمد بن احمد بن حامد بن الفضل البخاري، أخذني معلّمي ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الختلى إلى ابي العباس الهمداني ببخارا سنة ثماني عشرة وثلثمأة، فقال له يا أبا العباس: اسئلك ان تحدّث هذا الصبي عن مشايخك، فقال ما لي سماع، قال فكيف وأنت فقيه فما هذا؟ قال لأني لماّ بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي إلى معرفة الحديث ورواية الاخبار وسماعها، فقصدت محمد بن اسماعيل البخاري ببخارا،

١- (٨٥١-٩٢٣هـ).

صاحبَ التأريخ والمنظورَ إليه في علم الحديث، وأعلمته مرادي، وسألته الاقبال على ذلك، فقال لي:

(يا بنيّ لاتدخل في أمر الا بعد معرفة حدوده، والوقوف على مقاديره، فقلت عرّفني رحمك الله حدود ماقصدتك له، ومقادير ما سئلتك عنه، فقال لي: أعلم أن الرجل لايصير محدّثاً كاملاً في حديثه الا بعد أن يكتب أربعا مع أربع، كأربعٍ مثل أربع، في أربع عند أربع، بأربع على أربع، عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لاتتمّ الا بأربع مع أربع، فإذا تمّت له كلّها هان عليه أربع، وابتُلى بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع، وأثابه في الآخرة بأربع).

قلت له فسّرلي رحمك الله ماذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب صاف، بشرح كاف، وبيان شاف، طلباً للأجر الوافي. فقال نعم:

الاربعة التي يحتاج إلى كتبها هي أخبار الرسول(ﷺ)، وشرائعه، والصحابةِ (رضي الله عنهم) ومقاديرهم، والتابعين وأحوالهم، وسائر العلماء وتواريخهم، مع اسماء رجالهم، وكناهم، وامكنتهم، وازمنتهم كالتحميد مع الخطب، والدعاء مع التوسل، والبسملة مع السورة، والتكبير مع الصلوات[1]. مثل المسندات والمرسلات، والموقوفات، والمقطوعات[2] في صغره وفي ادراكه[3]، وفي شبابه وفي كهولته عند فراغه وعند شغله، وعند فقره، وعند غناه، بالجبال والبحار والبلدان و البراري، على الاحجار، والاخزاف، والجلود، والاكتاف، إلى الوقت الذي يمكنه نقلها إلى الأوراق، عمّن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه، وعن كتاب أبيه يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره[4] لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل

١- أي تكتب كل ماذكر كما يُكتب عادة في مقدمات الكتب التحميدُ مع الخطب.... الخ.

٢- أي يكتب مصطلحات الحديث ويحفظها.

٣- بلوغه و وصوله سنّ الرشد.

٤- أي حتى إذا نقل عن كتاب أبيه, يجب عليه أن يتأكد أنه خطُّ يَدِ أبيه لا غيره.

بما وافق كتاب الله عزّوجلّ منها، ونشرها بين طالبيها و محبّيها، والتأليف في أحياء ذكره بعده. ثم لاتتم له هذه الاشياء الا بأربع هي من كسب العبد، أعني معرفة الكتابة، واللغة، والصرف، والنحو، مع أربع هي من أعطاء الله تعالى، أعنى القدرة، والصحة، والحرص، والحفظ.

فإذا تمت له هذه الاشياء كلّها هان عليه أربع: الأهل، والمال، والولد، والوطن. وأبتُلى بأربع: بشماتة الاعداء، وملامة الاصدقاء، وطعن الجهلاء، وحسد العلماء.

فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله عزّوجلّ في الدنيا بأربع: بعزّ القناعة، وبهيبة النفس، وبلذة العلم، وبحياة الأبد، وأثابه في الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من أخوانه، وبظل العرش يوم لاظلّ إلا ظلّه، وبسقى من أراد من حوض نبيّه(ﷺ)، وبمجاورة النبيين في أعلى عليين في الجنة.

فقد اعلمتك يا بنيّ مجملاً لجميع ماسمعت من مشايخي متفرّقا في هذا الباب، فأقبل الآن إلى ماقصدت إليه اوْدعْ. فهالنى[1] قوله، فسكتّ متفكراً، وأطرقت متأدباً، فلما رأى ذلك مني قال:

وإن لم تطق حمل هذه المشاقّ كلّها فعليك بالفقه، يمكنك تعلّمه وأنت في بيتك قارٌّ[2] ساكن، لاتحتاج إلى بُعد الاسفار، و وطْأ الديار، وركوب البحار، وهو مع ذا ثمرة الحديث، وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدّث في الآخرة، ولا عزّه بأقل من عزّ المحدّث. فلمّا سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث، وأقبلت على دراسة الفقه و تعلمه، إلى أن صرت فيه متقدما، ووقفت منه على معرفة ما امكنني من تعلّمه بتوفيق الله تعالى ومنّته.

١- هالني: أخافني.

٢- أي في حال الأستقرار في بيتك.

فلذلك لم يكن عندي ما أمليه على هذا الصبي يا أبا ابراهيم، فقال له أبو ابراهيم: أن هذا الحديث الواحد الذي لايوجد عند غيرك، خير للصبيّ من الف حديث نجده عند غيرك[1].

وبعد أيها القراء المؤمنون: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾:

أن ماحوته هذه العجالة هي أقلّ ما يستخلص من قاموس سيرة البخاري بدأً بصلاح أبويه، وطهارة رضاعه، ونزاهة نشئته في طفولته وصباه، وفي شبابه وكهولته، وإنتهاءً بتقواه وورعه وزهده، وبذكاءه وفطنته، وبشمائله العطرة وولايته، وفوق كل ذلك علمه الغزير الذي هو من ابرز كراماته.

ويكفى القول في علو مكانة البخاري بين علماء الاسلام بمختلف أصنافهم منذ شروقه كشمس العلم، وفي كمال ثقتهم به: أنه المحدّث الوحيد الذي لقّب بالاجماع بإمام أئمة الحديث، وهو من ابرز الافراد القلائل الذين اشتهروا بأمير المؤمنين في الحديث[2]، كذا هو من النجوم الساطعة بين علماء السلف في تميزه بأعلى درجات العلم وجمعه بين الحديث وفقهه، وقد سبق كل ذلك وغيره في هذه النبذة بشهادة اكابر العلماء كما نقلت نصوص أقوالهم حرفياً، وجعلتها بين المعقوفات، لتتميّز عن تعليقاتي.

ولنختم سيرة إمامنا باغتنام بعض من الدروس والعبر المطوية في ثنايا أقواله وأفعاله، ليكون ختام قطافنا من رياض البخاري مسكاً، فأقول: كل ما سبق في هذه العجالة حول

١- إرشاد الساري لشرح الصحيح البخاري (١٨/١).

٢- هذا اللقب أعلى مراتب علماء الحديث، وهو لمن فاق من سبقه حفظاً وإتقانا في علم الاحاديث و عللها، بحيث أصبح مرجعاً لغيره، وأصحاب هذا اللقب لايتجاوزون الخمسة على ماعلمت، وهم: سفيان الثوري، وشعبة، والبخاري، ومسلم، والدار قطني، وآخرهم ابن حجر العسقلاني.

البخاري رواه أئمة الحديث بالاسانيد العديدة الصحيحة في مصادرهم، والتي نقلتُ منها بعضها بغية الاختصار.

أذن كلّ مارأيت عن البخاري سواء من قوله أو فعله يعبرّ عن كيفية عقيدته، وعن فهمه للكتاب والسنة، وكفى بفهم وعلم إمام الائمة وأمير المؤمنين في كل ما أعتقده وفعله، وفي المسائل التالية أيضاً:

أولاً/ التوسل والتبرك بقبر رسول الله(ﷺ):

كما صرح البخاري نفسه وقال: (صنفت التأريخ الكبير عند قبر النبي(ﷺ)، وكما قال الامامان المحدّثان ابن حجر والقسطلاني في شرحيهما لصحيح البخاري: (وإنما بلغ –صحيح البخاري– هذه المرتبة، وفاز بهذه المنقبة لما روى أن البخاري بيّضه بين قبر النبي ومنبره...)، ولاشك أن اختيار البخاري جوار مرقد النبي(ﷺ) لأوقات تصانيفه من بين سائر الاماكن في مسجده الشريف ومدينته المنورة: إنما يدل على اعتقاده بصحة التوسل برسول الله(ﷺ) بعد وفاته كما صحّ التوسل به في حياته، وهكذا جواز التوسل بالاولياء والصالحين من عبادالله في حياتهم ومماتهم كما أكدّ عليه علماء السلف والخلف سوى من شذ وخالف الإجماع، وكما هو مؤكد بالادلة النقلية والعقلية أنه لاعبرة بالقول الشاذ في المسائل الدينية العبادية، لاسيما العقيدية منها.

ثم أنه لاشك في أن أمام أئمة الحديث لو شمّ أدنى رائحة للكفر والشرك في قصده جوار مرقد رسول الله(ﷺ) والتبركَ به، لنأى بنفسه التقية المتورعة عن ذلك، ولاختار مكاناً آخر، ولما صرّح بقوله: (صنفت التأريخ الكبير عند قبر النبي(ﷺ): إلاّ مع بيان الحكم في ذلك للمسلمين كعادته الدابئة، وتنبيههم وتحذيرهم مما لايرضى به الله ورسوله.

ثم التوسل الذي ذكره الامام الحافظ أبو علي:

كيف أن أهل سمرقند وفي مقدمتهم قاضي البلد قصدوا قبر البخاري للاستسقاء عنده والتوسل بجاهه، وكيف ان الله تعالى شفعّ فيهم جاه البخاري وهو مبلّغ الوحى الثاني، وسقاهم في الحال بحرمة عبده المخلص عنده، وفتح لهم أبواب السماء بماء مُنْهَمِر دام سبعة أيام بلياليها، فأنبت الله لهم الزرع، وأدرّ لهم الضَرْع.

فلو كان في التبرك بمرقد البخاري والاستشفاع بصاحبه أدنى محذور شرعي (علاوة على الكفر و الشرك) لما توجّه جماهير سمرقند المؤمنة بقاضيهم وبكبار علمائهم ومحدّثيهم في ذلك العهد الاسلامي الزاهر إلى قبر البخاري والتوسل به للاستسقاء، وعلى فرض أبعد الاقوال و أفسدها بعدم وجود عالم فاهم للعقيدة والسنة من بين أهل (سمرقند)، بلد البخاري وأرض نشئته الاسلامية الخصبة – يحذّر المسلمين من التوسل بقبر البخاري لوكان شركاً:

كيف يليق بشأن جماهير علماء الحديث الذين عاصروا البخاري والذين جاؤا بعده، وكيف يتصوّر عقل مسلم: ان يسجّلوا الروايات الشركية أو البدعية في مصادرهم المباركة دون بيان أحكامها، وتحذير المسلمين من آثامها؟

وأئمة الحديث هم الدعاة المتورعون المخلصون الذين لم يدعوا معصية كبيرة ولاصغيرة إلاّ بيّنوا حكمها وحذّروا المسلمين من تبعاتها.

أذن فالقول بأنّ التوسل بالأموات شرك ولو كانوا أنبياء وَهْمٌ فاسد وقول شاذَ يجب التوبة منه، والتبرّى من قائليه أيًا كانوا. فمجرد انكار التوسل بالنبي و صالحي أمته, علاوة على جريمة تكفير المسلمين به: ظن فاسد, وخروج فاضح عن إجماع الصحابة والأمة, فليتتبَّع أيُّ قارئ منصف سليم من مرض التعصب والتقليد الاعمى حياة الصحابة والسلف الصالح, ليرى بنفسه في أقوالهم وأفعالهم ما يشفي صدره من مآت الأدلة الصحيحة الصريحة حول توسلهم بالرسول(ﷺ) وبالصالحين سواء كانوا أحياءً وأمواتاً, وعلى سبيل المثال حسبما تسنح به عجالتنا هذه: أخرج الامام البيهقى عن مالك الدار

قال: (أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب, فجاء رجل إلى قبر النبـي(ﷺ), فقال يا رسول الله استسق الله تعالى لأمتك فإنهم قد هلكوا , فأتاه رسول الله(ﷺ) في المنام فقال: إئت عمر فأقره السلام, فأخبره أنهم يسقون و قل له عليك الكيس الكيس, فأتاه الرجل فأخبره, فبكى عمر ثم قال يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه) حياة الصحابة: ٤٠٣/٤.

وقال إبن كثير إسناده صحيح. البداية والنهاية ٩٢/٧:

كذا إن خالد بن الوليد (رضي الله عنه) فقد قلنسوة له يوم اليرموك , فقال اطلبوها, فلم يجدوها, فقال اطلبوها, فوجدوها, فإذا هي قلنسوة خلقة[1], فقال خالد: اعتمر رسول الله(ﷺ) فحلق رأسه, فابتدر الناس جوانب شعره, فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة, فلم اشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصرة.

رواه الطبراني وأبو يعلى بإسنادين صحيحين, و أخرجة الحاكم, وكذا في حياة الصحابة ٤٧٧/٤:

وهكذا سار السلف الصالح –وهم أعلم الناس بالكتاب والسنة– على نهج الصحابة في التوسل الى الله بالصالحين للوصول الى حوائجهم الدينية والدنيوية, ومنهم امام السنة الأكبر, الامام الشافعي(رضي الله عنه), ومما اشتهر عنه

وما كان يردَده منشداً :

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي .

ديوان الامام الشافعي صحيفة ٧١

ثم لو أمعن العاقل المنصف في المسئلة لظهر له جليًا ان القول بأن التوسل (بدعاء الأحياء جائز وبجاه الأموات شرك): هو عين الشرك و الجهل، لأن ذلك القائل يعتقد أن

١– خَلِقة: عتِقة بالية.

لسان الحي بتحريكه بالدّعاء يؤثر في مشيئة الله تعالى وقضاءه وقدره، والحال ان الله تعالى لايقبل دعاء الحي لمجرد حركة لسانه، وإنمّا يقبله إذا كان له جاه وحرمة عنده، والجاه لايكون لأحد عندالله سبحانه إلا باخلاص العبوديّة له، وطهارة النفس: (إنما يتقبّل الله من المتقين)، والمؤمن الذي مات على هذا، ورُفع عنه التكليف يكون أعظم جاها و كرامة عندالله من الحيّ الذي لايزال مرهوناً بالتكاليف، وهو في مظانّ الوقوع في المعاصي وتنزُّل الجاه، ولم يُخْتم له بعدُ بالسعادة أو الشقاوة مالم يكن نبياً معصوماً.

وإن قال الرافض للتوسل: ومن الذي يدري أن فلاناً الولىّ، أو فلانا الميت ختم له بالسعادة، وله جاه عندالله؟ ومن يدري ربما خُتم له بالشقاوة وهو الآن في النار؟

جوابنا: معلوم أن هذا السؤال لايتوجه إلى أنبياء الله، ولايجوز هذا الظن في حقهم، لأن خاتمتهم الحسنى، وجاههم العظيم عندالله أمر مفروغ منه لكل مسلم.

إذن فالتوسل بهم (حتى على قول الرافض) في حياتهم ومماتهم سواء، وكذا التوسل بالصحابة الكرام(رضي الله عنهم) كما سيأتي قريباً.

وأما بالنسبة لغيرهم ممن اشتهروا بين المسلمين في حياتهم بالولاية و الصلاح، فصحيح ان خاتمتهم لاتظهر لأحد إلاّ بنصّ، كما وردت آيات وأحاديث كثيرة في حق عامة الصحابة(رضي الله عنهم)، وبيّنت خاتمتهم الحسنى ورضا الله عنهم.

ولكن نفس السؤال والظن السابقين يتوجهان أيضاً (باستثناء الانبياء) إلى الحيّ الذي يظن الرافض جواز التوسل به دون الميت، لأنه كما يقال عن الميت ماذكر، يقال أيضاً عن الحيّ:

من الذي يدري أنه عبد صالح وعاؤه مقبول؟ ومن يدري أن الله تعالى تقبّل ايمانه واسلامه، وربما هو عندالله منافق أو كافر؟

ولكن مع ورود هذا الاحتمال في حق عامة الاحياء غير الانبياء، أجمع علماء الاسلام على جواز التوسل بالاحياء بناءً على الظاهر، وعلى حسن الظن بكل مسلم.

إذن فالنتيجة حتى مع هذا الاحتمال هي جواز التوسل بالأموات أيضاً، وهذا على دليل الرافضين أنفسهم لو كانوا يشعرون.

ثانياً/ البدعة فيما لم يفعله الرسول والصحابة من العبادات:

يرى اللامذهبيون ان كل عبادة لم يفعلها الرسول ولم يكن عليها نص آية او حديث فهي بدعة وضلالة، فجعلوا من عند أنفسهم من هذا الكلام العابث قاعدة هشة يبنون عليها كل اثقالهم في تكفير المسلمين وتحقيرهم وهجرهم، ويبنون عليها كل أقوالهم وجدالهم، لكن لا أفعالهم، لأن فعل كل مافعله الرسول(ﷺ)، وترك كل ما تركه من سننه القولية والفعلية، بل حتى مجرّد معرفة ذلك وجعله منهجاً مرتباً للعمل به تماماً كما كان يفعل الرسول(ﷺ): غير ممكن لأحد غيره(ﷺ).

فمثلاً ما كان الرسول ينام قبل العشاء، ولاكان يتكلم بعدها[1] وكان(ﷺ) ينام أول الليل ويقوم آخره للتهجد كما ثبت ذلك في الصحاح أيضاً.....الخ.

ولئلا نطيل في هذا المقام الذي لنا عليه دليل وكلام طويل، حسبنا ان نعود إلى خدمة البخاري، ونكتفى بعلمه وفهمه، ونعتبر بعمله.

قال إمام الائمة: (ماكتبت في كتابي حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين)، هذا وأن من المعلوم ان الاغتسال والصلاة من العبادات، وان الرسول(ﷺ) لم يأمر كَتَبَة الوحي ولاغيرهم بالاغتسال والصلاة قبل كتابة القرآن، ولا لقرءاته، ولا أمر (ﷺ) كتّاب رسائله إلى الملوك بذلك، ولا أمر الخلفاءُ الراشدون جامعي القرآن وكتّابه بشيء من ذلك. وقبل البخاري فعل هذه العبادات وغيرها إمام آخر من دون نص أيّ حديث ولا أثرٍ عنده عليها، ألا وهو إمام دار الهجرة، الامام مالك بن أنس(رضي الله عنه).

١- عن أبي بَرزة(رضي الله عنه): (أن رسول الله(ﷺ) كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها) متفق عليه.

قال الامام ابن كثير: (كان مالك رحمه الله إذا حضر مجلس التحديث، توضأ، وربما أغتسل وتطيب، ولبس أحسن ثيابه، وعلاه الوقار والهيبة، وتمكّن في جلوسه، وزَبَر[1] من رفع صوته)[2].

وقال الامام السيوطي ناقلاً عن الامامين ابن الصلاح الشهرزوري و النووي: (يستحبّ له إذا حضر مجلس التحديث ان يتطهر ويتطيّب، ويسرحّ لحيته، ويجلس متمكنا بوقار، فإن رفع أحد صوته زبره، ويفتتح مجلسه ويختتمه بتحميدالله والصلاة على النبي(ﷺ)، ودعاء يليق بالحال، بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن العظيم...)[3].

ولايخفى على الباحث المطّلع أنه لم يثبت شيء من ذلك بنص صريح لا من الرسول ولا من الصحابة لحضور مجالس الحديث، ولا للدرس والتحديث.

وبعد قول وفعل إمامى السلف وائمة الحديث ليس أمامنا في مسئلة فعل وترك الرسول(ﷺ) إلا ثلاث خيارات لا رابع لها:

إما أن نقولَ بلسان حال اللامذهبيين ان مالكاً والبخاري وأمثالهما من المحدثين والفقهاء لم يفهوا السنة، ولم يميّزوا بينها وبين البدعة.

وإما ان نقول أنهم فهموها، ولكن خالفوها عمداً، وهذا اسوأ ظن لايخطر ببال مسلم ولا عاقل، وإما ان نقول بقول جماهير علماء الاسلام، وهو: ان اغتسال البخاري وصلاته عند ادخال كل حديث في صحيحه، كذا توضّؤ مالك واغتساله و.... إلخ كل مرة قبل حضوره مجلس الحديث، من العبادات التطوعية، والنوافل المستحبة، وهذه وما شابهها وإن لم يأمر بها الرسول(ﷺ) بنصّ خاص، إلا أنها تقع تحت الأمر بعمومات مآت من نصوص الكتاب

١- زَبَر: زجرو انتهر.

٢- الباعث الحثيث(ص٨٢). و الكواكب الدرية للامام المناوي ٤٢٠/٢.

٣- تدريب الراوي(ص٣٢١).

والسنة، منها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، و﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، إلى غير ذلك من نصوص الآي والأحاديث الكثيرة المعلومة مقاصدها بالبداهة، اللهم إلا لمن فتح الله أبصارهم وأعمى بصائرهم و العياذ بالله.

ولايخفى على من تتبّع تحقيقات أئمة الاسلام المجتهدين في الكتاب والسنة، الذين صنفوا كل نصوص الكتاب والسنة، واستنبطوا من كل مجموعة متميّزة منها حكمها الخاص بها: أنه ليس لتقوى الله، وأعمال الخير المتعبّد بها حدّ يقف المسلم عنده، ولاكيفية معينة يلتزم بها، لأنه لم يرد في ذلك نصّ، ولا في الأمر بها أو النهى عنها في وقت دون وقت.

هذا وحكم التطوعات و النوافل غيرُ حكم المكتوبات كالصلاة والصيام والحج المؤقتات بأوقاتها والمبيَّنة بكيفياتها المحدّدة الشرعية، كذلك النوافل التي وقّتها الرسول(ﷺ) بأوقاتها كذات صلاة التراويح في ليالي رمضان، كذا السنن الرواتب عند كل مكتوبة، وصلاة الضحى فيما بين الطلوع إلى الزوال..... الخ.

أما الاذكار والادعية أثناء هذه النوافل وغيرها، أو قبلها وبعدها، فللمسلم أن يختار لنفسه ما أطمئنّ قلبه إليها، وماناسب حاله منها، وحسبما يلتذّبها، ولايصاب بالسآمة منها، وهذا ما فعله الصحابة والسلف بعدهم في الترويحات، وفي سائر التطوعات، لأن الرسول(ﷺ) لم يعين نوعاً خاصاً من الدعاء والذكر أثناء التلبُّس بالنوافل، ولانهى عن خصوصية نوع منها، وإنما أمر(ﷺ) بجنس الدعاء والذكر حسبما يوقظ العبد من الغفلة، ويقرّبُهُ من رب العزة.

إذن فالقول ببدعية كل عبادة أو ذكر لم يرد في كيفيته نص آية أو حديث ليس بشيء، ولم يقل به من العلماء من يعتبر بعلمه وعمله.

أمّا حديث: (عن أنس(رضي الله عنه) قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي(ﷺ) يسئلون عن عبادة النبي(ﷺ)، فلما أخبروا كأنّهم تقالّوها، وقالوا أين نحن من النبي(ﷺ) قد غُفر له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وإنا اصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله(ﷺ) اليهم فقال: انتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله واتقاكم له، لكن اصوم وأفطر، واصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

فالاستدلال بهذا الحديث على بدعية وعدم مشروعية كل مالم يفعله الرسول، ليس بالاستدلال، وإنما هو من كلام الأطفال.

فإن الرسول(ﷺ) لم ينههم عن أصل ماتعبدوا به، وهو تطوعهم بنوافل الصلاة والصيام، وبترك التزوج، وإنما نهاهم كما هو صريح الحديث عن المبالغة في إيذاء النفس، وعن التبتل و الرهبنة و الغلوّ في الدين.

ثم أن الرسول(ﷺ) لم ينه بهذا الحديث ولابغيره كل الصحابة والأمة عن الاكثار من العبادات التطوعية، وإنما نهى من لاطاقة له عمّا يضر بنفسه أو بأهله وعياله، كما قال(ﷺ) للباهلي الذي صام سنة ولم يفطر: (عذبت نفسك)[2].

وكما كان(ﷺ) يأمر بعض الصحابة عند صدقاتهم بإمساك بعض من أموالهم لنفقة عيالهم، ولكن لم ينه(ﷺ) أبابكر(رضي الله عنه) حينما تصدّق بجميع ماله، ولانهى عمر(رضي الله عنه) حينما تصدّق بنصف ماله[3].

١- متفق عليه.

٢- رواه ابو داود.

٣- قصة تصدّق أبي بكر وعمر رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، وراها أيضاً عدد آخر غيرهما.

وكما نهى الرسول(ﷺ) أباذرّ(رضي الله عنه) عن طلب الامارة بقوله: (يا أباذّر أنك ضعيف، وإنها أمانة....)[1]، ومع هذا كان(ﷺ) يكلّف صحابة آخرين بتولّي الإمارة.... الخ.

وكل ذلك على حسب قدرات عباد الله على تحمل المشاق، وإمكاناتهم لتحمّل الاعباء، وحسب التدرج في تشريع الاحكام وحكمة الاسلام، وعلى مقتضى الحال و المقام.

نعم أن الرسول(ﷺ) لم ينه قط عن الإكثار من العبادات التطوعية، ولا عن نوعياتها وكيفياتها مادامت تذكّر بالله وتقرّب إليه، وإنما نهى عن التشدد في غير موضعه، كما قال: (هلك المتنطّعون)[2]، بل أمر(ﷺ) بالاجتهاد في العبادات، كما أمر أبا فراس وهو من اصحاب الصفة(رضي الله عنه) بقوله له: (فأعنّني على نفسك بكثرة السجود)[3].

وإن رسول الله(ﷺ) نفسه كان يكثر من الصلاة حتى أصابه الجهدْ وأضرّ ببدنه: عن عائشة(رضي الله عنها): (أن النبي(ﷺ) كان يقوم الليل حتى تتفطّر قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفرالله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟)[4].

ومن تتبّع عبادة الصحابة في كثرة صلاتهم، وصيامهم، وأذكارهم، وقرائتهم، كذا في زهدهم في الدنيا، واختيارهم لحياة التقشّف، لرأى العجب، واصابته الدهشة في ذلك، وهكذا حال تابعيهم باحسان، وما سيرة سيّد التابعين أو يس القرني وأمثاله(رضي الله عنهم) بخاف على من له تَبَصُّر وبصيرة بسيرة السلف في تفانيهم في أنواع العبادات، والزهد، ومراقبتهم لأنفسهم ومحاسبتهم لها.

١- رواه مسلم.

٢- رواه مسلم.

٣- رواه مسلم.

٤- متفق عليه.

ومن الضروري لإستيقاظ القراء المؤمنين من نومة الغافلين، ولإستكشاف أكذوبة الإتّباع للسلف الصالحين: التعرف على حقيقة حال السالفين، ومقارنتها بأدّعاء الخالفين، وسيتحقق ذلك بإذن الله بالاستطلاع على تراجم حياتهم، وإستعلام كيفيات عباداتهم، وأهمّ أسهل المصادر لذلك هو كتاب (حياة الصحابة) للعالم الرباني: محمد يوسف الكاندهلوى الهندي[1]، فعضوا عليه بالنواجذ[2].

المتصوفون الحقيقون

هذا ومن الحق ان نقول هنا: ان عبادة الصحابة، وزهدهم و ورعهم قد تجسّدت تماماً في سيرة المتصوفين منذ ظهورهم في بداية القرن الثاني، وأن كلّ واحدٍ من الصوفيين الحقيقيين كان مصدراً من السنة النبوية العملية يمشي بين الناس.

وأقول قولى هذا وأنا على بيّنة من أمرى، وليتحقق من شاء بنفسه، وليتبين إن جاءه فاسق بنبأ، ومصادر طبقات المتصوفة وتراجمهم متوفرة ليرى بعينيه كيف ان الصحابة هم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾[3]، وان المتصوفة هم: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[4].

وكيف أن ايمانهم الراسخ بالله، وكثرة صيامهم وقيامهم ومناجاتهم مع الله ساهرين طيلة ليالي أعمارهم رغبة و رهبة: يَصْدُقُ عليهم وعلى أحوالهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا

١- هو من كبار علماء و متصوفة الهند، أخذ الطريقة عن والده الشيخ الكبير محمد إلياس، وولاّة خلافة الطريقة والارشاد بعده.

٢- الناجذ: آخر الاضراس، وهذا قول نبويّ كناية عن التشديد في الالتزام.

٣- سورة التوبة: الآية (١٠٠).

٤- سورة التوبة: الآية (١٠٠).

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وإقتباساً من هذه الآية الكريمة أقول: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْملون وَالَّذِينَ لاَ يَعْمُلونَ؟. أن الغلاة القساة الجفاة الذين ينعتون المتصوفين بالشرك والضلال والخرافات، أين أعمالهم من أعمالهم، وأين خوفهم من خشيتهم، وأين أخلاقهم من سجاياهم الزكية العطرة؟ وهل يقارن الثرى بالثريا؟ أم هل تستوى الظلمات والنور؟ أليس من المتفق عليه عقلاً ونقلاً ان نوع العمل والخُلقُ انعكاس عن نوع العقيدة؟ لاشك ان سوء العمل والخلق دليل على سوء العقيدة وفسادها، وان حسن العمل والخلق دليل على حُسْن العقيدة وصحتها.

فالمتصوفة جمعوا بين العلم والعمل، واعداؤهم كما يُرون دأبهم القول دون العمل، والمتصوفة كانت طهارة قلوبهم بحيث لاينظرون إلى أحد من عباد الله الابعين العطف والرحمة، واعداؤهم قساة القلوب بحيث يحقدون حتى على أئمة الاسلام وأولياء الله، والمتصوفة كانوا طاهرى اللسان بحيث لم يَفْحُشُوا بالقول حتى على اعدائهم، واعداؤهم طعانون، لعّانون، سّبابون، بحيث لايسلم أحد من خبث لسانهم، والمتصوفة كانوا متواضعين لله، وأول الامراض التي عالجوها العجب وطهروا منه أنفسهم، واعداؤهم متكبرون، وأول مايتربَّون عليه تحقير المسلمين والاعجاب بأنفسهم. والمتصوفة كانوا ابعد الناس عن أبواب السلاطين والأمراء السابقين، والأكل في كلّ ماكان تحت ايديهم, وكانوا

١- سورة السجدة: الآية (١٥-١٧).

٢- سورة الزمر: الآية (٩).

سياطا مسلطة عليهم في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مع أن الأمراء السابقين مهما كانوا، فهم بالمقارنة مع سلاطين وحكام آخر الزمان يُعدون من أولياء الله الصالحين. أما اعداؤهم فحراس مخلصون ساهرون حول قصور ملوك وامراء الزمان، وهم حملة عروش الغاشمين المترفين الإباحيين.

وبعد فليحذر القارئ المسلم من سوء الظن بعباد الله، لاسيّما بأولياءه الصالحين، وليكن هذا التهديد الالهي المخيف نصب عينيه: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)[1] وأضعف الايمان للمسلم إن لم يحبّ أولياء الله ولم يوالِهم، هو أن لايحقرهم ولايعاديهم، فإياك من أغتياب اولياء الله وكرههم، فإن لحومهم سمّ قاتل فإياك وإياها. وأعجل العقوبات الالهية لأعداء أولياءه هو أن يُعرض عنهم، ويجعلهم ينسون أنفسهم، فيعجبون بها، فيصابون بأمراض النفس المهلكة كالعجب والتحقير والحسد، فتفسد الأمراض حسناتهم كما يفسد الخل العسل من حيث لايشعرون، ثم يَكلُهم الله إلى أنفسهم ولايبالي في أيّ وادٍ يهلكون. قال الامام الحافظ ابن عساكر: (من انتقص من العلماء ابتلاه الله قبل موته بموت القلب)[2]، وإلى الباحث الصادق عن الحق بعض من المصادر الموثوقة التي تُتَرجم أئمة التصوف، وتعرّفهم وتكشف حقيقتهم الناصعة للمسلمين المهتدين إلى قيام الساعة، وذلك: ﴿ليهلك مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

فجزى الله مترجمي أولياءه أحسن ماجزى به عباده الصالحين، فلولاهم لذَهَل أكثر المسلمين عن خزائن اسرارهم، وحُجبوا عن شموس انوارهم، لأن أولياء الله لإخلاصهم للخالق اخفوا أنفسهم عن أعين الخلق، وانهم بحق مصاديق من أشار إليهم رسول الله(ﷺ)

١- رواه البخاري.

٢- نقله الامام النووي عنه في المجموع (٤٨/١).

٣- سورة الانفال: الآية (٤٢).

بقوله: {أن اليسير من الرياء شرك، وان الله يحبّ الاتقياء الاخفياء الذين إن غابوا لم يُفتْقَدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، ينجون من كل غبراءٍ مظلمة}[1].

فمن المصادر:

- أنساب الاشراف، لمؤرخ القرن الثالث أحمد البلاذُرى.
- حلية الاولياء، للامام المحدث ابن نعيم الاصبهاني(٤٣٠هـ).
- طبقات الصوفية، للعارف بالله أبي الرحمان السُلمى(٤١٢هـ).
- صفة الصفوة، للامام المحدّث ابن الجوزي (٥٩٧هـ).
- تذكرة الاولياء، للعارف بالله فريد الدين العطار (٦٢٧هـ).
- البداية و النهاية، للامام المفسر المحدث ابن كثير الدمشقي (٧٠٠–٧٧٤هـ).
- طبقات الشافعية، للامام المحدث الفقيه تاج الدين السبكي (٧٢٧–٧٧١هـ).
- وفيات الاعيان، للمؤرخ الفقيه إبني خلكان (٧٣٢هـ).
- شذرات الذهب، للمؤرخ الفقيه ابن عماد الحنبلي (١٠٨٩هـ).

WWW.ZANAYAN.ORG

ثالثاً/ تقبيل اليد والرجل:

فيما سبق من روايات أئمة الحديث في قول الامام مسلم للبخاري: (دعني أقبلْ رجليك يا استاذ الاستاذين، ويا سيّد المحدّثين، وطبيب الحديث في علله)[2]، وفي عدم إنكار البخاري على قوله هذا، يتضح: أن تقبيل يد بل رجل العلماء والصالحين أمر مشروع لم يَردْ في النهى عنه نص واحد لاصريحاً ولا أشارة ولا مفهوماً، كذا النداء بكلمة (السيد) لأهل الفضل.

١– أخرجه الطبراني، والحاكم وقال صحيح الاسناد.

٢– البداية و النهاية لابن كثير (٢٣/١١)، ومقدمة فتح الباري لابن حجر(ص٦٨٢)، وإرشاد السارى (٣٤/١).

هذا وحاشا إمامي أئمة الحديث ان يُبيحا قولاً، أو عملاً من عند أنفسهما أو يفعلاه على غير بيّنة من العلم، فقد وردت روايات صحيحة عديدة بمشروعية تقبيل اليد و الرجل، بل بسنيتهما: عن الوازع بن عامر (رضي الله عنه) قال: (قَدِمْنا فقيل ذاك رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فأخذنا بيديه ورجليه نقبلها)[1]، وقال سلمة بن الاكوع(رضي الله عنه): (بايعت النبي(صلى الله عليه وسلم) بيدي هذه، فقبلناها فلم ينكر ذلك)[2]. وعن مزيدة العبدري(رضي الله عنه) قال: (جاء الاشجّ(رضي الله عنه) يمشي حتى أخذ بيدَي النبي(صلى الله عليه وسلم) فقبّلها)[3].

بل قبّل السلف يد الصحابة الذين مسّوا بأيديهم رسول الله(صلى الله عليه وسلم):

عن يحيى بن الحارث الذماري، قال: (لقيت واثلة بن الأسقع(رضي الله عنه) فقلت: بايعتَ بيدك هذه رسول الله(صلى الله عليه وسلم)؟ فقال: نعم، فقلت أعطني يدك أقبّلها، فأعطانيها فقبّلتها)[4]. وعن تميم بن سلمة(رضي الله عنه) قال: (لماّ قدم عمر(رضي الله عنه) الشام أستقبله أبو عبيدة بن الجراح(رضي الله عنه) فصافحه، وقبّل يده، ثم خَلَوا يبكيان فكان تميم يقول: تقبيل اليد سنة[5]..... الخ.

هذا ولايخلو مصدر من مصادر الحديث إلاّ وفيه عدّة أحاديث صحيحة أو حسنة في مشروعية تقبيل اليد و الرجل. إذن على ماذا استند بعض كتّاب آخر الزمان في إنكارهم على المسلمين في هذه المسئلة، وسخريتهم من أولياء الله ومحبيّهم على عمل وردت بجوازه الاحاديث الصحيحة، وفعله الصحابة وتابِعوهم؟

١- أخرجه البخاري في الأدب.

٢- أخرجه الطبراني، وقال الهيثمي رجاله ثقات.

٣- أخرجه البخاري في الأدب.

٤- أخرجه الطبراني , حياة الصحابة (٥٣٨/٢).

٥- أخرجه الامام عبدالرزاق, والبيهقي, وإبن عساكر, والخرائطى, وغيرهم حياة الصحابة (٥٣٨/٢).

رابعاً/ تبيّن في نص نصيحة البخاري لأبي العباس الهمداني: (فعليك بالفقه.... وهو مع ذا ثمرة الحديث.....):

أن البخاري امره بتعلّم الفقه إلى أن يصير فيه عالماً، ثم ينشره بين المسلمين ابتغاء ثواب الله الكثير للفقيه مثلماً هو للمحدّث، فلم يُفسح له الطريق ليصير محدّثاً إلا إذا تحملّ ماذكر له من أعباء وتبعات الرباعيات، ولم يحثه حتى على استخراج الفتاوى من الاحاديث، لصعوبة ذلك أيضاً إلا للعلماء المبتحرين في الحديث والفقه معاً. وهذا لئلاّ يوقع نفسه والمسلمين في ضلالات الفتاوى الخاطئة و المتناقضة، والاختلافات الهالكة، كما اقتحمها في زماننا عن غير بصيرة ناس لم يفهموا أنفسهم الكتاب والسنة حق الفهم، ولا أصغوا حتى إلى نصائح البخاري وأمثاله الذين شهدوا وهم من أهلها، وبذلك ملؤا كتيباتهم بالفتاوى المتناقضة، بحيث تُناقض فتاوى لامذهبيّ مع ما هي للامذهبي آخر في المسئلة الواحدة، بل خالفت فتاوى لامذهبيّ واحد في كتابٍ له مع فتاواه في كتاب آخر له، كما سيتضح لك فيما بعد إنشاءالله بجَدْوَلٍ مبيّن لبعضٍ من إختلافاتهم مع بعضهم.

ولهذا لم ينه إمام الائمة أبا العباس الهمداني عن تعلّم الفقه وتبليغه للمسلمين، كما نهى عن ذلك ولايزال ناس يظنهم القراء المبتدؤن علماء ومحدّثين، وهم لايعدون حتى كقراء عاديين بالمقارنة مع أمثال البخاري وعلماء الفقه والحديث.

أولئك الكتَاب الذين يندهش كل من له إلمام بالحديث والفقه من اعجابهم بأنفسهم، وعدم معرفتهم بها، ويستغفر كل مسلم من شناعة أقوالهم، وذلك كما في قول قائلهم: (هذا صريح في أن عيسى يحكم بشرعنا، ويقضى بالكتاب والسنة، لابغيرها من الانجيل او الفقه الحنفي ونحوه)...

فهذا ما سجّله الالباني في تعليقه على مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري، في الطبعة الثالثة في صفحتها(٥٤٨)، لسنة ألف وتسعمأة وسبعة وسبعين، حول حديث نزول

عيسى(عليه السلام)[1]. فسبحان الله كيف تجاسر، وكيف ساغ له أن يسوّى الفقه الحنفي الذي ليس فيه إلا لا إله إلا الله، بالانجيل الذي ليس فيه إلا الأب والابن وروح القدس؟ ومن هؤلاء القوم من كفرّوا كل مسلم يلتزم بمذهب من المذاهب الاربعة الشرعية، بل تجاوزوا حدود الاسلام الواسعة حتى نعتوا أئمة المذاهب الأربعة وعلماءها بأنهم: ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾، وأنهم ممّن قال الله عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2].

ومن استدلالاتهم الساذجة المخالفة لنصّ القرآن الكريم قولهم: (اتّباع الكتاب والسنة اتّباع للمعصوم، وإتباع أئمة الفقه إتّباع لغير المعصوم)[3].

ولاشك أن مثل هذه الاقوال معاكس تماماً لأمر الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلم يأمر تبارك وتعالى كل مسلم، ولا كل قارئ، بل ولا كل عالم بمطالعة الكتاب والسنة ان كانوا لايعلمون، بل أمر: فاسئلوا أهل الذكر. ومعلوم ان القرآن والسنة لاينطقان بأنفسهما بصوت حتى يكون العالم والعامي في الاستماع إليهما وأخذ الأحكام منهما سواء، بل لابدّ للعالم الكامل فيهما ان ينطق بهما.

لذا أجمع العلماء على ان مقصود الآية الكريمة: ان يأخذ العوام، وغير المجتهدين أحكام دينهم من المجتهدين الذين سّماهم تعالى بأهل الذكر، والذين عناهم صريحاً بالصّلة في قوله: (يستنبطونه) في آية: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

وإلى الباحث المنصف كما وعدت قَبْلُ جدولاً ببعض اختلافات اللامذهبيين فيما بينهم حول بعض المسائل الهامشية البسيطة:

١- راجع أيضاً كتاب (اللامذهبية) للاستاذ البوطي(حـ/٩٣).

٢- راجع المصدر السابق، (ص/٢٤).

٣- المصدر (ص٢٣).

المسئلة	غير جائز	جائز
أعفاء اللحية	الالباني/ فوق القبضة من البدع المحرمة	ابن باز، ومحمد بن عثيمين، وصالح الفوزان، يحرم قصها
مجالس العزاء	ابن عثيمين والفوزان والالباني.	ابن باز، وابن جبيرين.
تخصيص يوم الجمعة لزيارة المقابر	ابن باز وابن عثيمين والفوزان.	ابن جبيرين.
إتخاذ المسبّحة للذكر	الفوزان و الالباني	ابن باز، وابن عثيمين، وابن جيرين
تكرار العمرة في رمضان	إبن عثيمين	ابن باز، والفوزان، واللجنة الدائمة
دعاء الختم في الصلاة	الالباني، وبكر أبو زيد، وابن عثيمين	ابن باز، وابن جبيرين، والفوزان، وابن عثيمين[1].
بدأ المناسبات والمحافل بقراءة القرآن	بكر أبو زيد، وعفيفى، وابن عثيمين	الفوزان، والالباني
التمايل أثناء قراءة القرآن	بكر أبوزيد، واللجنة الدائمة	ابن عثيمين
القراءة من المصحف في الصلاة	الالباني	ابن باز، وابن عثيمين، وابن جبيرين، والفوزان
احتفالات حفاظ القرآن	الالباني، واللجنة الدائمة	ابن عثيمين و الفوزان
عشاء الوالدين[1]	ابن عثيمين	ابن باز، وابن جبيرين، والفوزان

١- لابن عثيمين في هذه المسئلة قولان، لذا ذُكر في كلا الحلقين.

المسئلة	غير جائز	جائز
تقبيل المصحف الشريف	ابن عثيمين، والالباني، واللجنة الدائمة	ابن باز، والفوزان
محاريب المساجد	الالباني	ابن باز، وابن عثيمين، والفوزان، واللجنة الدائمة
رسم الخطوط على فرش المساجد	الالباني	ابن عثيمين، والفوزان، واللجنة الدائمة
سكتة الامام بعد قراءة الفاتحة	الالباني، والفوزان	الفوزان[٢]، واللجنة الدائمة، وابن باز، وابن عثيمين
الزيادة على أحدى عشرة ركعة في التراويح	الالباني	ابن باز، وابن عثيمين، وابن جبيرين، والفوزان
التهنئة بالعام الهجري	الفوزان	ابن باز، وابن عثيمين، وابن جبيرين
مواضيع خطب الجمعة في مناسبات الهجرة والاسراء والمعراج.... الخ	الفوزان	ابن عثيمين

١- عشاء الوالدين تشبه الاربعينية عندنا، بل هي أسوأ منها، لأن اولاد الميت بعد مضىّ شهر أو شهرين يذبحون ذبيحة ويصنعون طعاماً يدعون إليه الاقارب والجيران وربما بعض الفقراء، وقد يخصصون رمضان لهذا العمل.

٢- للفوزان في هذه المسئلة قولان، لذا ذُكر في الحقلين.

ملاحظة: نقلت هذا الجدول عن كتاب (مفهوم البدعة) للدكتور عبدالاله بن حسين العرفج، وهو كتاب مفيد جداً، ومدلّل بالأدلّة القاطعة، وجدير بالمطالعة.

وبعد، فهؤلاء هم أبرز اللامذهبيين الذين ينهون المسلمين عن التعبد بالفقه الاسلامي، وعن إتباع أحد المذاهب الأربعة، بحجة ان فيها خلافات مذهبية، ويحذّرون المسلمين ترغيباً و ترهيباً من تقليد أئمة الاسلام المجتهدين، ويحثونهم على تقليد أنفسهم تحت ستار أنهم يعملون بالكتاب والسنة، وإتباعهما إتّباع للمعصوم، أما إتباع الائمة اتباع لغير المعصوم... الخ.

وما عايَنْتَ أيها القارئ الكريم ليس إلاّ نماذج قليلة من صور أحوالهم في الاختلافات والتناقضات المتخبطة مع بعضهم، بل ومع أنفسهم، وكل ذلك في فتاواهم في بعض المسائل الهامشية البسيطة، وفي كتيباتهم الصغيرة الحجم، وليت شعري إلى أيّ مدى تصل اختلافاتهم لو افتى هؤلاء في مهمات المسائل الاسلامية، وصنفوا كتبا مفصّلة في جميع الاحكام التكليفية بدأً بمسائل كتاب الطهارة، ومروراً بكتاب أحكام المواريث، والمعاملات، والقضاء، والشهادات، والجهاد والفيء و.... وانتهاء بكتاب العتق) كما أنجز ذلك علماء المذاهب الاربعة على خير وجه في مآت المصنفات الفخمة، بحيث يتجاوز عدد مجلدات كثير منها عشرة مجلدات كبيرة، إلى عشرين وثلاثين.... الخ.

وحول اضطرابات أقوال الالباني وحده الّف الاستاذ الداعية حسن بن علي الّسقاف كتابا بعنوان: (تناقضات الالباني الواضحات)، وذكر في الجزء الأول منه (٣٠٠) ثلثمأة تناقض وخطأ للألباني في فتاواه، وهذا الكتاب طبع الجزء الأول الصادر منه تسع مرات.

هذا ولو ردّوا هذه المسائل الهامشية وأشباهها إلى قواعد الشريعة التي أصَّلها أئمة الاستنباط، وهذّبوها في مصادر المذاهب الاربعة المتفق عليها بين الأمّة منذ ثلاثة عشر قرنا: لما اشغلوا أنفسهم ولا مسلمي الزمان، ومن بينهم الاكثرية العظمى من ذوي العلم والفهم الضعيف، بقيل وقال، وكثرة السؤال، وبمجادلات يومية، وخصومات فاشية كان المسلمون وإلى يوم القيامة في غنى عنها، سواء فعلوها أو تركوها.

خامساً/ البخاري شافعي المذهب:

ان البخاري مع تفرده بحفظ أكثر الاحاديث الصحيحة، ومع سعة علمه وقوة فهمه في علوم السنة والاستنباط منها، هو أحد أئمة الحديث المتبعين لمذهب الشافعي، ولاتنكر علىّ هذا القول إيها القارئ الكريم، ولاتعجل علىّ في الرد بالتعصب الذميم، ولـيردّ من شاء (وهيهات) على قائله: (تاج الدين السبكي) الذي هو من أبرز أئمة الحديث والفقه في مستهلّ القرن الثامن الهجري، والذي ورّث لا للعوام فحسب، بل للعلماء بعده أغنى تراث من شتّى العلوم الاسلامية، فهو الذي قال: (ان البخاري تفقه بمكة عند الحميدي وغيره من اصحاب الشافعي[1].....).

لذا أدرج البخاري في التسلسل الخمسين في طبقاته الكبرى[2] التي الفها خصيصاً لتراجم العلماء الشافعيين كما هو المقصود في تصانيف كتب الطبقات لعلماء المذاهب الأربعة، وعلماء التفسير، والحديث كلِ صنف على حِدة، فذكر السبكي في طبقاته (١٤١٩) ألفا وأربعمأة وتسعة عشر من أبرز علماء الاسلام الشافعيين، ومن بينهم عدد كثير من أئمة التفسير كمحمد بن جرير الطبرى المجتهد المطلق، ومنهم أكثر أئمة الحديث, كالنسائي والترمذي وابن حبّان، والدار قطني وابن نعيم الاصبهاني والبيهقي وابن الصلاح الشهرزوري والنووي وابن كثير الدمشقي المفسر المحدّث، والامام الذهبي، وغيرهم من مشاهير أئمة الحديث الذين لاتسع هذه العجالة لسرد اسمائهم.

وقبل السبكي وفي زمنه وبعده ألّف علماء كثيرون في طبقات الشافعية. وأول من صنف في ذلك أبو حفص عمر بن على في أواخر القرن الرابع الهجري، ثم في القرون التي تلتْه وإلى القرن الثالث عشر صنف في ذلك على ما علمت ستة وعشرون من العلماء، وآخرهم شيخ الاسلام عبدالله الشرقاوي المتوفي سنة (١٢٢٧هـ).

١- طبقات الشافعية الكبرى (٤٢٣/١).

٢- المصدر السابق (٤٢١/١).

ولايخفى ان تعداد العلماء الشافعيين أكثر مما ذكره الامام السبكي بكثير، وإنما وقف على ذلك العدد، لأنهم الشافعيون الذين عاشوا قبله إلى زمانه وسنة وفاته التي هي (٧٧١هـ) أما في القرون السبعة التي تَلَتْ بعده فيربو ذلك العدد على الضعف وأكثر.

وبعدُ إيها القارئ: الا يكفى للمعتبر الصادق من اللامذهبيين الذين يبتغون الحق شافعيةُ البخاري وحده لأحقية المذاهب الاربعة و اصحيتها، وللزوم إتّباع واحد منها؟ هذا علاوة على شافعية (١٤١٨) آخرَين من أكابر علماء الاسلام ومثلهم معهم؟

وأخيراً: إنما استدللت هنا في مسئلة فعل الرسول(ﷺ) وتركه ببعض أقوال وأفعال أبرز أئمة السلف دون نصوص الكتاب والسنة، لأن الاستدلال بالنصوص في أيامنا هذه وللاسف اصبح (والعياذ بالله) من ألا عيب صنف من الجهّال الذين لايعرفون حتى تعريف العلم و العالم، علاوة على معرفة العلوم الاسلامية، فأصيب الناس جرّاء ذلك بالسآمة و الملل، حتى أوشك كثير من المسلمين لايُلقون بالاً عند ذكر أدلة القرآن والسنة، ولو أن أعلم الناس في هذا الزمان استدل بآية أو حديث او بأقوال الائمة على شاب ليس له حظّ من علمٍ غير مطالعات عابرة في كتيّبات ضعيفة، تراه يكيل عليه في الحال عدداً من الآيات و الأحاديث جزافاً، وقد تلقّفها دون معرفة محل الاستشهاد فيها، بل ودون معرفة ابسط معانيها اللغوية.لذا استدللت بأقوال وأفعال ابرز ائمة السلف والحديث لمن يدعون اتباع السلف الصالح

ومما يُتخوّف منه على عقيدة العوامّ وإضعاف إيمانهم: صَيرورة الجدال المنهى عنه في دقائق شرع الله العويصة، وحتى في مسائل العقيدة العميقة بين صنف من الشباب والقراء أمراً عاديّا مألوفاً، بل تجاوز الخارجون على جماعة المسلمين وعقائدها كل حدود آداب البحث والمناظرة الاسلامية النزيهة، حتى نقلوا المراء المحرم إلى القنوات الفضائية لمجرد أن يُرى موقفهم ويشار إليهم بالبنان، فتراهم يتراجمون بالآيات و الأحاديث متباهين كما يتراجم الأعداء بالحديد والنار، وكما يتبادل الاطفال الشتائم والاحجار، وهذا مانهى عنه

رسول الله(ﷺ) أشدّ النهى في عشرات من الاحاديث الصحيحة، وشبّه مرتكبيه بأهل الكتاب الهالكين الذين أختلفوا في أحكام التوراة والانجيل، أوّلاً، ثم حرّفوا الفاظها أخيراً. ومما قاله(ﷺ) لبعض الصحابة في مثل هذا الحال والمقام مُغضَباً: (مهلا ياقوم، بهذا اهلكت الأمم من قبلكم، بإختلافهم على أنبياءهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، ان القرآن لم ينزل يكذّب بعضه بعضاً، وإنما نزل يصدّق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه)[1].

والحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتّمان على سيدنا محمد خاتم النبين والمرسلين. وأقول كما قال إمامنا الأعدل عمر الفاروق رضي الله عنه وعن جميع الصحابة: (اللهم اجعل عملي كلّه صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولاتجعل لأحد فيه شيئاً).

ملا عمر السويري
كوردستان العراق/ اربيل
١ / رمضان/ ١٤٣٤
١٠ / ٧ / ٢٠١٣

١- رواه الامام احمد.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
مولد الامام البخاري ونسبه.....	٧
طلبه للحديث، وذكاؤه المدهش منذ صغره.....	٧
قيمة صحيح البخاري وكل مصنفاته.....	١٠
نبذة أخرى من فَرْط ذكاءه وسعة خفظه.....	١٦
مدى قابلية ذاكرة الانسان علمياً.....	٢٠
اخلاقه وصفاته البدنية.....	٢٣
عبادته وتقواه.....	٢٣
سخاؤه و صدقته.....	٢٤
عزته وتجنبه من السلاطين.....	٢٤
وفاؤه حتى بالوعد القلبي.....	٢٥
تواضعه.....	٢٦
تواضعه و إخلاصه في طلب العلم.....	٢٦
طهارة قلبه و لسانه من الغيبة.....	٢٧
تعظيم البخاري للشافعي.....	٢٧
من نصائحه المختصرة.....	٢٩
من كراماته برؤية رسول الله في المنام.....	٢٩
أجابة الدعاء بالتوسل به عند قبره.....	٣٠
توسل البخاري بمرقد النبي(ﷺ) لتصحيح صحيحه.....	٣٠

طلب الامام مسلم من البخاري تقبيل رجليه ٣١
ثناء العلماء على البخاري ٣١
كثرة شيوخه وكدحه في طلب الحديث ٣٢
مصنفاته ٣٣
امتحانه من قبل علماء الحديث بسمرقند ٣٤
امتحانه ببغداد ٣٦
حسد بعض العلماء على البخاري ومحنته ٣٨
رجوعه إلى بخارا ومحنته الاخرى ٣٩
خروجه من بخارا ومحنته الأخيرة و وفاته ٤٠
من كراماته بعد وفاته ٤١
نصيحة الامام البخاري ٤٤
التوسل و التبرك بقبر الرسول ٤٨
البدعة فيما لم يفعله الرسول من العبادات ٥٢
المتصوفون الحقيقيون ٥٧
تقبيل اليد والرجل ٦٠
أمر البخاري بتعلّم الفقه ٦٢
البخاري شافعي المذهب ٦٧
الفهرس ٧٠